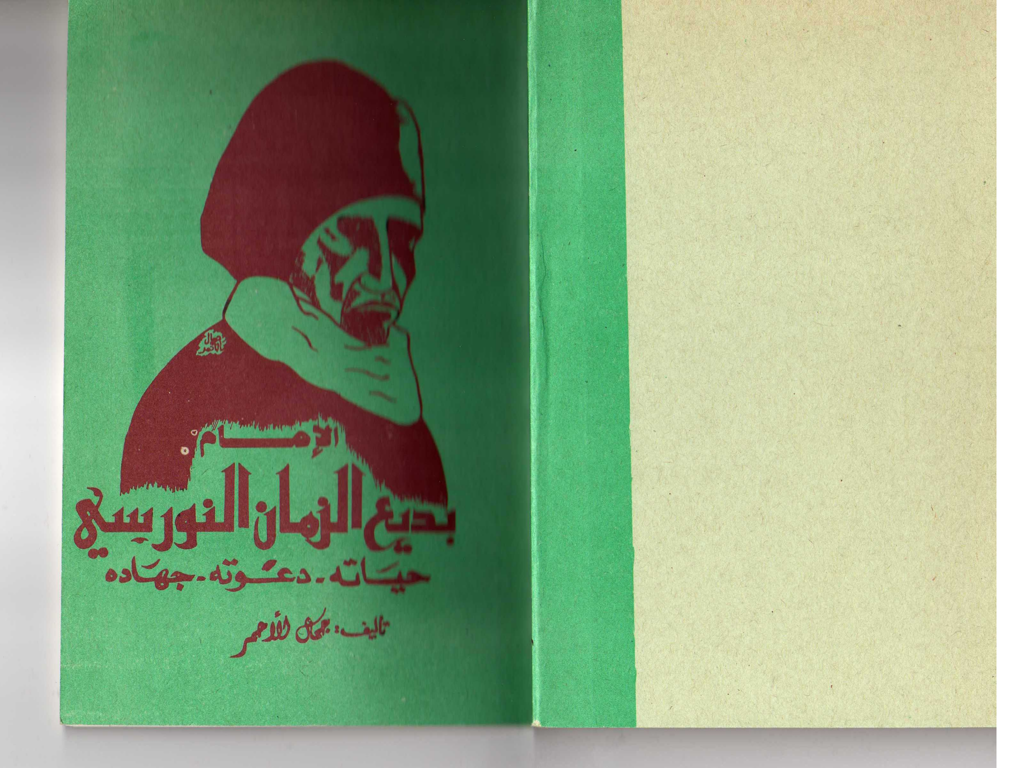
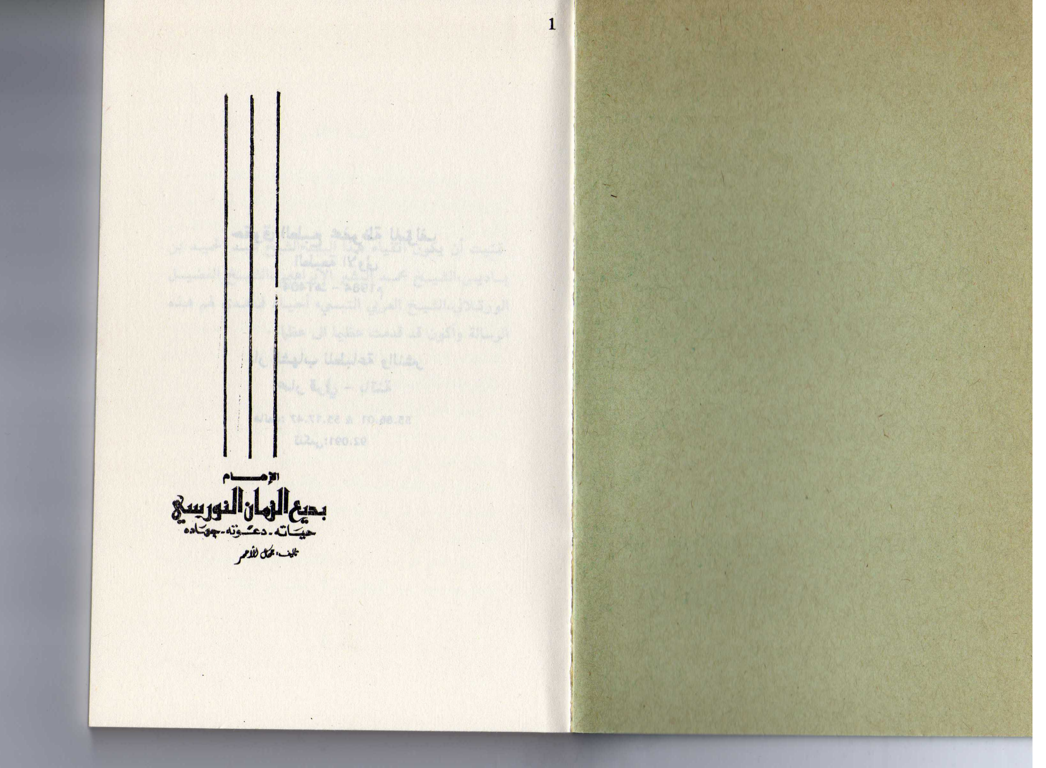

الإمام
بديع الزمان النورسي
حياته - دعوته - جهاده
تأليف: جمال الأحمر


الإمام
بديع الزمان النورسي
حياته - دعوته - جهاده
تأليف: جمال الأحمر

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
1404هـ - 1984م

دار الشهاب للطباعة والنشر
عمار قرفي - باتنة
هاتف: 55.17.47 & 55.86.01
تلكس:92.091

تمنيت أن يكون أتقياء هذا البلد«الشيخ عبد الحميد بن باديس،الشيخ محمد البشير الإبراهيمي،الشيخ الفضيل الورتلاني،الشيخ العربي التبسي» أحياء فأهدي لهم هذه الرسالة وأكون قد قدمت عظيما الى عظماء.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التقديم

إذا كان ظهور المصلحين العظماء في كل عصر سابقة معروفة في تاريخ الإسلام ليجاهدوا لإحيائه،فإن بديع الزمان سعيد النورسي كان من هؤلاء المجددين، الذين أرسلهم الله تعالى للمسلمين، ليقاوموا المفاسد التي تفشت في أمة الإسلام حين عز وجود الرجال.

ونحن إذ نكتب عن حياة هذا الداعية الإسلامي ودعوته وجهاده فليس من غرضنا كتابة تاريخ موثق وإنما هو عرض قصير لأهم الجوانب في شخصية،هذا الرجل ووسائله التي تصدى بها لمخططات الحاقدين على هذا الدين،ومواقفه الجهادية التي وقفها في سبيل «إنقاذ الإيمان»و«خدمة القرآن».

ومع هذا فإني لاأتقن اللغة التركية-وأتمنى أن يمكنني الله من ذلك في وقت قريب-مما جعلني غير قادر على الإطلاع على كل رسائل النور التي كتبها الأستاذ النورسي خلال ثلاثة وعشرين عاما،ولا على المنشورات والمجلات والكتب التي أصدرها ولا يزال يصدرها تلامذته من بعده بأمانة وإخلاص قلّما يوجد لها نظير في العصر-على ما أعلم-.

وكل زادي هو بعض الرسائل النادرة والمكتوبة باللغة العربية بغرض معالجة نفس الموضوع،وكما سيظهر من خلال الرسالة فيما

بعد،اعتمدت على عدة دراسات حديثة جدا عن الرجل وطلاب رسائله والتي كتبها بعض تلامذته أيضا في عدة مجلات إسلامية.

أرجو أن ينتفع أبناء أمتي من هذا المجهود المتواضع لعلّ نورسيًّا جديدا يظهر فيهم،وأتمنى أن أكون قد وفقت إلى مافيه الخير والصلاح،فإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان،وإن أصبت فمن عون الله وتوفيقه.

«اللهم أكتب لي بها أجرا،وحط عني بها وزرا،واجعلها لي عندك ذخرا،وتقبلها مني كما تقبلتها من عبادك المتقين».

جمال الأحمر

عصر النورسي ونشأته

عصر النورسي

إذا كانت سنة الله في كونه تقضي أن يبعث بين كل فترة وأخرى من الزمن من يجدد للمسلمين أمر دينهم،ويوقظ فيهم دواعي الجهاد ذودًا عن شريعة الله ودينه، فإن بديع الزمان هو المجدد الذي أكرم الله به المسلمين في تركيا إبان حكم كمال أتاتورك،فقد كان رمز المقاومة الإسلامية لحكمه،وكان المحور الذي استقطب حوله ملايين الشباب المسلمين للصمود في وجهه،ولقد مات أتاتورك ««مصطفى كمال»»وأتباع بديع الزمان يكثرون ويزيدون.

ولن نستطيع أن نعطي جهاد هذا الداعية الإسلامي والمجاهد الكبير حقه إلا إذا القينا نظرة ولو سريعة على التحديات التي كانت تواجه الإسلام في عصره وعلى مخططات أعدائه الدقيقة التي وضعوها لضرب هذا الدين ضربة قاضية وقطع كل لسان لازال رطبًا بذكر الله ومن أخطر التيارات التي قادت هذا العمل الفضيع:

أولا:-القومية التركية:

كانت الدولة العثمانية تضم في امبراطوريتها الواسعة مسلمي الشرق كله تقريبا باستثناء إيران..فالتركي يخضع لسلطان حكومة استانبول«أسطنبول» والعربي والتركاني أو أي مسلم آخر كذلك.

وحتى أوائل القرن التاسع عشر لم يشعر أحد من الرعايا بنعرة قومية خاصة متولدة عن لغته أو عرقه أو أرضه حتى أخذت القومية تتسرب إلى الإمبراطورية العثمانية«من أواسط شرق أوروبا»عبر قنوات عدة،ولقد كان اللاجئون البولنديون والمجريون على الغالب أول الناقلين عندما ذهبوا لتركيا،بعد فشل ثورتهم سنة 1848م،فلقد بقي قسم كبير فيها واعتنقوا الإسلام«شكلا»،واحتلوا مناصب هامة في الدولة العثمانية وكان أحدهم الكونت قسطنطين بورزيسكي وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا!!

ولقد نشر سنة1869م كتابا بالفرنسية في استانبول عنوانه:«أتراك الأمس وأتراك اليوم»،وفي الكتاب جزء كبير يشكل تقريرًا للسلطان عن المشاكل الحاضرة في الإمبراطورية،واقتراحات حلها،وبه جزء تاريخي يضم دراسة أجراها المستشرقون الأوربيون عن التاريخ القديم للشعب التركي،وبه يؤكدون دور الأتراك الإيجابي

الخلاق في التاريخ،ولقد حاول بورزيسكي جهده لإثبات أن الأتراك هم من العرق الأبيض مثل شعوب أوربَّا وينتمون لما أسماه العرق«الطوراني-الآري».

ولقد عمل الكونت بورزيسكي على نقل القومية البولونية ووضعها في قالب تركي وساعده على هذا العمل ماعرضه من أعمال المستشرقين الأوربيين الباحثين في الشؤون التركية،ولقد وصلت نتائج أبحاث هؤلاء إلى المجتمع التركي من عدة طرق وكان لها تأثير هام على الذهنية التركية خصوصا في تقدير التاريخ التركي القديم والإعتقاد بالهوية المميزة والمركز اللائق في التاريخ،ولقد كان الأتراك أكثر من العرب والعجم نسيانا لتاريخهم الماضي،فلقد كانوا لايفكرون بأية هوية أخرى غير الإسلام،ولكن المستشرقين وهم أناس أوربيون تخصصوا في دراسة الإسلام للدس عليه،واستعمار أرض المسلمين،ساعدوا الأتراك على استعادة هويتهم القومية الضائعة!! وعلى الدعوة إلى حركة قومية تركية جديدة.(1)

«..والكلمة التي تستعمل بالعربية للتعبير عن فكرة الجنسية الوطنية هي القومية وهي إسم مشتق من قوم،وتعني بالعربية الكلاسيكية:الأصل والأتباع ومجموعة العشيرة،وبكلمة أدق تعني-الآل-الذين يتنادون للمساعدة عند الشدة..ومثل كلمة «وطن»كلمة«قومية»،وهي اشتقاق من اللغة العربية إلا أنها استعملت بمعناها السياسي الجديد في تركيا أولا،وكانت اللغة التركية أو اللغات

الإسلامية التي نقلت ثم«صكت»الكلمات الجديدة للأفكار الجديدة،ولقد وردت كلمة«قومية» بالتركية على لسان«الشبيبة التركية»وفي كتاباتهم،وكانوا يعنون بها القومية التي تعارض الولاء الأوسع للسلطة العثمانية الكبرى وللإسلام..ولذلك في سنة 1870م انتقد «علي سوافي»إقتراحا عثمانيا شبه رسمي يطلب أن يتبنّى الباب العالي«القومية»مثل إيطاليا وبروسيا ويوحد جميع المسلمين على أساسها،وبين «علي سوافي»بحق أن القومية في أوربا تعني شيئا آخر مختلفا تماما فليس عندنا مشكلة قومية،والمشاكل القومية تقود لدمارنا،وقضية توحيد المسلمين مسألة إسلامية دينية،وليست مسألة قومية .

..إلا أن نداءه ذهب عبثا وانتشرت القومية بسرعة بين المسيحيين العثمانيين وانتقلت بواسطهم إلى المسلمين الألبان،والعرب،وعندما ثارت القومية الألبانية سنة 1912م،أثارت معها حملة من الإستنكار قام بها الشاعر محمد عكاف المسلم الوطني المعارض للقومية،وكان هو من أصل الباني،قال:

«إن ملتكم هو الإسلام فما هي القومية القبلية؟

هل العرب أفضل من الترك؟أو أن اللاظ أفضل من الشركس والكرد؟

أم أن الفرس أفضل من الصينيين؟

بماذا يفضلونهم؟

ماذا دهاكم هل تقسمون الإسلام إلى أجزاء متعددة؟

إن الرسول الكريم نفسه سفه العصبية القبلية!

وليس باستطاعة الأتراك العيش بدون العرب

ومن يقول غير هذا فهو مجنون

والترك بالنسبة للعرب عينهم اليمنى وساعدهم الأيمن.

فلتكن ألبانيا لكم إنذارا؟

ماهذه السياسة المتخبطة وما هو هذا الهدف الشرير.

اسمعوها مني،أنا ألباني.

لا أقول أكثر من=

أسفي على بلادي المبتلاة».

إلا أن محمد عاكف الشاعر كان يقاتل في معركة خاسرة،وانتقلت العدوى إلى كل مكان.

ثانيا:العلمانية:

ظهرت العلمانية كنتيجة حتمية للأفكار التي نادى بها التبشير والإستشراق وصفقت لها القومية والشيوعية طويلا.

لقد طرحت مسألة «عَلْمَنَة»الدولة على صعيد رسمي..فالشباب المثقف وخريجو الجامعات،والعائدون من الغرب والشرق،وحملة

الأفكار القومية والشيوعية،جميع هؤلاء لايدينون بدين الإسلام«العقيدة والمنهاج» بل على العكس فإن معظمهم يطالب بعقيدة جديدة تعالج موضوعات الكون والإنسان والحياة،وتحقق الإنسان العربي الإشتراكي الجديد..أو التركي الجديد..أو الإيراني الجديد.

وهكذا غدت مسألة العلمانية«أي فصل الدين عن الدولة»(1) مسألة مفروغا منها عند من يعدون أنفسهم طليعة الأمة وساسة البلاد!!

وعندهم أن إنقلاب مصطفى كمال في تركيا على الخلافة ثم إعلان الجمهورية مع قبوله بالإسلام دينا،ثم تعديله الدستور،وإعلان علمنة الدولة،وتحظير الدعوة الدينية،وسنه للقوانين اللادينية،أضخم تجربة علمانية لأبناء الشرق المسلم يمكن أن تقلد أو تحاكى.

ومما لاجدال فيه أن الإتجاه العلماني إنما يقصد الإسلام فقط إذ أن الإسلام هو دين الغالبية،وهو فضلا عن ذلك:الدين الوحيد الذي يملك منهج حياة وتنظيما لكل شؤون الدولة ومرافقها،أما المسيحية فهي أصلا،قد قامت على فصل الدين عن الدولة أي على العلمانية«أعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله».

وهناك أمر آخر في لبنان زاد مسألة العلمانية حدة وقوة،فالوضع الطائفي الخطير يوحي دائما إلى المثقفين والأحزاب بضرورة علمنة

الدولة كطريق وحيد لإنهاء الإنقسام في لبنان..وفي الوطن العربي.

والحقيقة أن الطائفية بمعنى الخصومة وعدم التعايش بين المسلمين والمسيحيين لم تنشأ إلا عندما تدخل الأوربيون«مبشرون ومستعمرون» في شؤون الدولة العثمانية،وعندما جهل كل من الفريقين «المسلمين والمسيحيين»روح الدين وصفاء العقيدة.(1)

ثالثا:الماسونية:

ولعل أخطر الجمعيات في الشرق التي نشأت قديما ولا تزال على قيد الحياة وتنفرد بأعمال مشبوهة،وتضفي على نفسها وأشخاصها والعاملين فيها ومشروعاتها طابع السرية المطلق هي الماسونية.

ومن المعروف لدى الجميع أن الماسونية حركة يهودية ذات أسرار ودرجات،هدفها الأكبر قيام دولة إسرائيل في فلسطين والتحكم في سير الشرق المسلم خاصة والعالم بأسره عامة..ومع هذا فإننا نجد كثيرًا من ساسة بلاد الشرق ومثقفيه وعلمائه وشخصياته أعضاء كبارا في محافل هذه الجمعية الخطيرة.

ونكتفي هنا أن نشير إلى أن الماسونية كما أعلنت ذلك مجلة«أكسايا» الماسونية الإيطالية سنة1904م،قالت المجلة:

«من أهداف الماسونية محاربة الأديان،وصيانة الدولة اللادينية..العلمانية..ولذا فهي تستسيغ الإرهاب بالتجرد عن مفاهيم الأخلاق والضمير..ويجب أن تكون الماسونية مرنة حسب الظروف والأوضاع».

يقول الأستاذ عمر الحكيم:«وتمكن اليهود من تأسيس الحزب الماسوني في الدولة العثمانية،وكانت غايته إستخدام رجالات الدولة العثمانية للحصول منهم على المساعدة اللازمة لفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود من شتى أنحاء العالم وإقامة وطن يهودي قومي فيها باسم «الأخوة الماسونية» التي لاتعرف وطنا ولا دينا ولا عصرا في الظاهر وهي في الحقيقة مؤسسة يهودية عالمية تسعى إلى تسخير رجالات العالم أجمع..والداخلين في هذا الحزب إلى خدمة مآرب الصهيونية تحت ستار الأخوة الإنسانية ونصرة الإنسانية..وقد لعبت المنظمات الماسونية دورًا بالغًا في حرب فلسطين؛فقد أوعزت إلى جميع أعضائها في البلاد العربية بتأييد قيام إسرائيل.

لقد احتضنت الماسونية في تركيا وفي الغرب وفي كل مكان من الدولة العثمانية جمعية الإتحاد والترقي،وخططت لها وساعدتها في الإنقلاب على السلطنة وسهلت السبل لليهودي مصطفى كمال،حتى وصل إلى ماوصل إليه،وألغى الخلافة الإسمية الإسلامية.

وكذلك فقد احتضنت الماسونية في بيروت أكثر الجمعيات الأدبية والفكرية والقومية،التي نشأت في العهد العثماني بغية الإنفصال،أو لأي هدف سياسي أو فكري آخر.

☆☆☆

إنطلاقا مما سبق نقول:إن عصر النورسي كان يتسم بالقلق الحضاري والإضطراب السياسي،والتفكك العام الذي بدأ ينخر جسم

الدولة العثمانية بفعل عوامل داخلية وخارجية متنوعة.

وكانت هذه الدولة يومئذ آخذة بالسقوط وعدم السيطرة على ممالكها الواسعة التي كانت أوربا قد تهيأت لإبتلاعها بعد رسم عشرات المشاريع التي اشتركت في تخطيطها كافة الدول الأوربية الإستعارية.

ولقد بذل السلطان عبد الحميد الثاني وسعه في سبيل المحافظة على الوضع الراهن،والتفكير الجدي في إيقاظ الأمة،وإنقاذ الدولة،والوقوف أمام الأطماع الإستعمارية طيلة سنوات متوسلاً في ذلك بدهائه السياسي،ومحاولا تقوية الرابطة الإسلامية بين المسلمين،ولكن الظروف السياسية والحضارية في عهده كانت أقوى من محاولاته،بل وجد أعداء الدولة والأمة في بقائه خطرا أكيدا على مصالحهم،فخططوا لإسقاطه حيث أمر المشرف الأعظم الماسوني الإيطالي أعوانه في«الإتحاد والترقي»بعزله بعد رفضه تسليم جزء من فلسطين الى اليهودية العالمية،وقد تم ذلك في عام 1909 حيث أجبر على التنازل،فأتوا من بعده بأخيه محمد رشاد«محمد الخامس»الذي كان ضعيفا وغدا ألعوبة بيد الإتحاديين.

ولقد تظاهرت«جمعية الإتحاد والترقي» في بداية الأمر بشعارات براقة وهي:الحرية والمساواة والإخاء.إلا أن حقيقتها سرعان ماظهرت عندما اتبعت سياسة عنصرية إرهابية،ففتكت بمعارضيها واضطهدت

العناصر غير التركية في داخل الدولة العثمانية،مما دفع الأقوام التي كانت تربطها الرابطة الإسلامية بالأتراك عبر العصور بالتفكير في إنقاذ نفسها من ذلك الوضع الشاذ غير الإسلامي.

ولم يكتف الإتحاديون بذلك،بل ورّطوا الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى بجانب المانيا،الأمر الذي أدى إلى هزيمتها وتمزقها وتوزيع أملاكها بين الدول الإستعمارية المنتصرة في تلك الحرب.

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى(1918)توفي السلطان محمد رشاد وجاء بعده محمد وحيد الدين الملقب بـ«محمد السادس»الذي كان يكره الإتحاديين ويتربص بهم الدوائر،ولكنه لم يكن يستطيع أن يفعل أي شيء ضدهم،وعندما احتل الحلفاء اسطنبول وقع السلطان محمد السادس أسيرا بأيديهم،فضيقوا عليه،وحجب بينه وبين الشعب،فلم يجد السلطان مناصا من أن يكلف سرًّا أحد الضباط الذي كانت تربطه به صداقة سابقة قبل مجيئه إلى عرش الخلافة،وهو مصطفى كمال فأرسله إلى الأناضول وزوّده بأمر سلطاني إلى قادة الجيش جميعهم كي يتعاونوا معه لتهيئة الصفوف لجهاد المستعمرين وطردهم من تركيا.(1)

وقد تم•ذلك في حروب اشترك فيها أبناء الشعب التركي المسلم بحماسة إسلامية منقطعة النظير منطلقين من عقيدة الجهاد في سبيل

الله سميت بـ«حروب الإستقلال»فاستطاعوا فيها طرد المحتلين اليونانيين من الغرب،والروس من الشرق.

ولما استقر الوضع لمصطفى كمال قام بموجب معاهدة«لوزان» بإلغاء الخلافة الإسلامية وصادر أملاك الأوقاف،ومنع قراءة القرآن وكتب الثقافة الإسلامية،باللغة العربية،التي كان يكرهها جدًّا،حيث غيّر حروف الكتابة العربية بالكتابة اللاتينية،وحول الآذان الشرعي إلى الآذان باللغة التركية،وحوّل المساجد الكثيرة إلى مخازن واصطبلات،ومنع النشاط الإسلامي كله،وأعلن اللادينية،وخطط للقضاء على الإسلام نهائيا في تركيا،وفي سبيل ذلك فتك بمعارضيه وقبض على الحكم بيد من حديد.

وقد وصل الأمر في محاربة الإيمان والإسلام الى حد أن دائرة معارف الحياة التركية الرسمية أنكرت صراحة وجود الله سبحانه وتعالى،ولعل هذا الإقتباس منها يلقي ضوءًا ساطعا على الأفكار التي لم تظهر بهذه الصراحة في أي مكان آخر، في العالم الإسلامي،يومئذ تقول:

«إن الفكرة التي تريد الأديان الموجودة حاليا أن تبثها هي أن الله واحد وأنه هو الذي خلق الكون،ولكن التقدم العلمي بدأ يوضح شيئا فشيئا بأن هذه الفكرة باطلة،وأنه لاوجود لشيء إسمه(الله)وقد انتشرتفكرة عدم الإعتقاد بالله بين أوساط المثقفين»( )

هذا إضافة إلى تدريس المواد غير الدينية في المدارس والهجوم على القرآن وعلى الرسول عليه الصلاة والسلام،علنًا في المدارس حتى قرر تدريس الفلسفة المادية في الصفوف الأولى في المتوسطات لترسيخ الجحود بالألوهية وإنكار الآخرة.

إن السؤال الذي يفرض نفسه هو: كيف تم هذا التحول الكبير في أوضاع تركيا مع سيطرة الملحدين على مقاليد الأمور،وكل مقدرات الأمة ورغم أقسى ظروف الإضطهاد والطغيان والإرهاب؟

لقد قيض الله تعالى لتلك الأمة المسلمة صوتًا شعاعا دك جدار الصمت وشق حجب الظلام.معلنا في صوت مجلجل هادر:

«لاكفر..لازندقة ولا ردة ولا إلحاد».

وبالطبع لم تكن كلمة «لا» هذه بالتي تطلق فتذروها الرياح،بل كان لها دوي هائل،تردد صداه في طول البلاد وعرضها،قام على إثره الملايين من الأتراك ليرددوا بلسان واحد،وقلب واحد:«لا..لن نرضى بالكفر..لن نقبل الردة والإلحاد..».

ماكان ذلك الصوت الذي أيقظ الأمة من سباتها وغفلتها سوى صوت الإمام «بديع الزمان سعيد النورسي».

الهوامش:

1-برنارد لويس«الغرب والشرق الأوسط»والمؤلف هو رئيس قسم التاريخ في كلية الدراسات الإفريقية والشرقية بجامعة لندن.تعريب:الدكتور نبيل صبحي،ص:128.127.

2-أنظر بتوسع المقالات الكثيرة التي كتبها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في«عيون البصائر»86/2.

3-غاردنر «التبشير والإستعمار»وغاردنر هذا هو أحد المبشرين الصليبيين.

4-جريدة«بوكون»التركية أعداد تموز عام 1968م،حيث كتب الكاتب التركي الكبير نجيب فاضل سلسلة مقالات حول السلطان وحيد الدين«محمد السادس» وأثبت فيه بوثائق تاريخية هذه القضية،ثم ترجمت هذه المقالات ونشرت في كتاب خاص،أنظر أيضا كتاب«الرجل الصنم» ص127،173.وهو كتاب تاريخي حديث ومهم حول حياة مصطفى كمال وإنقلاباته،بقلم ضابط تركي متقاعد.

5-«المجلد132/1 من الموسوعة»وادعاء أن التقدم العلمي يرفض عقيدة الإله إفتراء محض على العلم،والعكس هو الصحيح،فالتقدم العلمي في القرن العشرين وضع يده على نظام الكون الدقيق جدًا،بحيث ذهب معظم العلماء الأفذاذ إلى أن إسناد خلق الكون الى الصدفة العمياء مستحيل علميا في حد ذاته،بل أن قوانين الفزياء الحديثة تثبت حدوث العالم.راجع«العلم يدعو إلى الإيمان»لكرسي موريسون،و«الله يتجلى في عصم العلم» لمجموعة من كبار علماء العالم.

ملحوظة: نلفت انتباه القاريء إلى أن أرقام الهوامش المسجلة في الصفحات السابقة غير متسلسلة، حسبما ورد في صفحة الهوامش، نرجو الإطلاع عليها.

الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

ولادته ونشأته:

ولد سعيد النورسي-ويلقب ببديع الزمان- في قرية نورس الصغيرة وهي إحدى قرى«حيزان أوهزان»التابعة لمحافظة«بدليس أو بتليس»في شرقي الأناضول عام 1876م-1393هـ.

كان كردي المولد،ووالده من سلالة أسرة عريقة عظيمة كانت تشتغل بالفلاحة فتوجّه هو إلى التعلم في الكتاتيب والمدارس الدينية،وكان يأخذ دروسه على يد أخيه،«الملاّ عبدالله» واقتصرت دراسته في هذه الفترة على الصرف والنحو،ثم أرسله أخوه الأكبر،عندما بلغ التاسعة من العمر،إلى المدرسة المحلية حيث تلقى علومه وتجلى ذكاؤه الحاد.

وبعد بضع سنوات ارتحل في طلبه العلم وبحثا عن دراسات أعلى،فبدأ ينتقل في القرى والمدن بين الأساتذة والمدارس ويزور مراكز العلم العديدة ويتلقى العلوم الإسلامية من كتبها المعتبرة بشغف عظيم.وفي فترة وجيزة وعى القرآن الكريم،والفقه الإسلامي،والخطابة،والفلسفة،والتاريخ،والجغرافيا،والنحو والصرف والعلوم.

لقد وهبه الله حافظة قوية إلى حد يدعو الى العجب،ولذلك حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب،وأهم معاجم اللغة العربية،والعديد من كتب التشريع.

وكان يتمتع بذكاء خارق أعترف به أساتذته جميعهم،بعد امتحانات صعبة كان يجريها له كل منهم.ونتيجة لهذا الذكاء الحاد استطاع أن يتم دراسته وهو لم يتجاوز بعد سن البلوغ.

ونظرا لاجتماع عاملي الذكاء وقوة الحافظة لديه تمكن من اكتساب تقدير معلميه ومن اتقان علوم كثيرة؛ومن ذلك أنه درس وحفظ كتاب:«جمع الجوامع» في أصول الفقه-وهو كتاب صعب-في شهر واحد(1)،وحفظ«القاموس المحيط»و«مقامات الحريري».

ولقد أدرك في وقت مبكر من حياته،أهمية تعلم العلوم الطبيعية وضرورته.واستمرّ في اهتمامه المتزايد بدراسة العلوم طيلة أيام حياته المليئة بالأعمال،ففي خلال ظرف زمني قصير ضرب بباع وافرة في لرياضيات،وفي علم الحياة، وكذلك في بعض اللغات الأجنبية.

اشترك النورسي-على عادة عصره-في المناظرات العلمية التي كانت تعقد بين العلماء وبين المثقفين ومن خلال هذه المناظرات تبين للناس ذكاؤه وسعة إطلاعه،ولم تلبث شهرة هذا الشاب أن انتشرت بعد أن أفحم في مناقشاته علماء منطقته جميعا،وذاع صيت مقدرته وعلمه في الصحف والمجلات فسموه بـ«سعيد المشهور».

ارتحل إلى «بتليس»ومنها إلى مدينة «تيلو» التي اعتكف مدة في إحدى زواياها وحفظ قاموس الفيروز آبادي إلى حرف السين.

وفي سنة 1893م ذهب«الملاّ سعيد» إلى«ماردين» وأخذ يلقي دروسًا في جامع المدينة ويجيب على الأسئلة التي يطرحه بها الناس،ثم وشى به بعضهم إلى الوالي،فما كان من هذا الأخير إلا أن أمر بإخراجه،فأخذ إلى بتليس،فلما عرف واليها حقيقة هذا الشاب العالم الحّ عليه أن يقيم معه.

اغتنم النورسي الفرصة فأخذ في مطالعة الكتب العلمية،وخاصة كتب علم الكلام والمنطق والتفسير والحديث والفقه والنحو حتى صار ماحفظه من متون هذه العلوم ثمانين متنًا،وفي هذه المدينة التقى بالعالم الجليل الشيخ«محمد الكفروي» وأخذ منه آخر دروسه الدينية.

ولم ينزح إلى مدينة«وان»إلا سنة 1894م بعد أن وجّه إليه واليها«حسن باشا»دعوة بالحضور إلى هناك،وكان ذلك بعد أن ذاع وانتشرت أخباره في الناس،فمكث سعيد النورسي في«وان»-وهي إحدى مدن شرق تركيا-خمسة عشر سنة محبوبا من الولاة ومن الأهالي على حد سواء،بل قامت بينه وبين طاهر باشا، الوالي الذي خلف حسن باشا،علاقات جيدة(1)

وفي وان شرع في إلقاء الدروس في مدرسة خورخور وأخذ-أثناء إقامته هناك-في تنوير العشائر الكردية في الشرق الأناضولي واطلاعهم على أمور دينهم.

ومن خلال تجواله في محافظة«وان»ومن خلال احتكاكه بالمثقفين الإسلاميين،وطلبة العلوم الشرعية،والأساتذة وأفراد العشائر تيقن بأنه لابد على المسلمين من دراسة العلوم الطبيعية،لذلك أنكب هو بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيماء،والفيزياء،والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ حتى تعمق فيها إلى درجة إفحام الأساتذة المختصين،فسمي لأول مرة بـ«بديع الزمان»إعترافا من أهل العلم بذكائه الحاد جدًا وعلمه الغزير.

ومن خلال إحتكاكه كذلك أدرك النورسي ضرورة تدريس العلوم الطبيعية جنبا إلى جنب مع العلوم الدينية والعقيدة الإسلامية،حتى يستطيع الذين لايفهمون إلا بلغة العلوم الطبيعية فهم حقيقة الإيمان.

ومع أن النورسي كان مولعا بالعلوم واللغات والفنون فانه لم يتعلم اللغة التركية إلا عندما نزح إلى مدينة وان التي شهدت مطلع دعوته.

ولقد أيقظت مزاياه هذه،عوامل الحقد عليه في نفوس كثير من أهل العلم الذين لم تتحلّ نفوسهم بمزايا المسلمين-وما أكثر هؤلاء في كل عصر ومكان-فراحوا يحقدون به ممتحنين له مرة،وواشين به إلى بعض الأمراء والولاة أخرى،ولكن علمه الغزير وتواضعه العجيب كانا ينجيانه مما يراد به من سوء.ولقد أحدق به ذات يوم بعضهم..قاصدين إيذاءه.فقال لهم:«اقتلوني..ولكن أرجو أن تحافظوا

على مكانة العلم وسمعته!»،وسمع والي سعرت»بالأمر وكان يقدر بديع الزمان،فقصد إلى معاقبة الذين حاولوا إيذاءه ولكنه عارضه قائلا:«نحن طلاب العلم،نتخاصم..ونتراضى..ولذا فلا أرى من الحسن أن يتدخل في شأنهم من ليس منهم،على أن الخطأ كان مني!..»قال هذا،وعمره لايزيد إلسادسة عشرة!(1)

غير أنه كان إلى جانب هذا مصارعا عظيما،ذا هوى بحمل الأسلحة المختلفة واستعمالها،والرمي وركوب الخيل ذاروح عسكرية عالية،وكان يتحلى في ذروة هذه الصفات بشجاعة نادرة تجعله لايقيم لمخلوق وزنًا رغم صغر سنه،دخل ذات يوم على رئيس عشرة«ميزا»مصطفى باشا،وكان ظالما يستهين بحقوق الله وحقوق الناس،فلما نظر إليه الباشا قال له:

-لماذا جئت إلى هنا؟

فقال:جئت لإرشادك،فإما أن تسمع وتطيع.وإما أن أقتلك!..

فغضب الباشا..ثم نظر إلى سيف بيد بديع الزمان قائلا:

بهذا السيف القذر تقتلني؟

فقال:السيف لاتقطع..وإنما اليد.

فقال الباشا مغضبا:لي علماء كثيرون في هذه الجزيرة،فإن تغلبت عليهم أجبتك إلى ماتقول،وإلا فسألقيك في نهر الفرات.

فقال بديع الزمان كا أنه ليس من شأني أن الزم جميع العلماء،فليس من شأنك أن تلقيني في البحر.ولكني أريد منك إن أجبت على أسئلة العلماء أن تكافئني بإعطائي بندقيتك،فإن لم تجبني إلى نصيحتي قتلتك بها.

وجمع الباشا له العلماء..وكسب بديع الزمان الشرط..وتاب الباشا على يديه توبة صادقة.

بدأسعيد النورسي حياته بالزهد والتقشف وسلوك سبيل الحكماء،وهذا السبيل الذي اختاره سعيد النورسي لنفسه منذ فجر شبابه-وإن كان الإسلام لم يلزم أهله أن يحصروا أنفسهم فيه-يدل على أن نفسه وتفكيره كان منصرفين منذ صباه عما تنشغل به نفس كل إنسان في هذه السن،وعلى أن أمورًا جليلة أخرى كانت تستأثر بفكره وهمه.

يربط فكره ووجدانه دائما بالآخرة،وكان شغوفا بطول الإقامة عند قبر الشيخ أحمد الخاني الشاعر الكردي المعروف(١)،رغم الوحشة المحيطة حول القبر.

وإذا ماتمعنا في هذه التربية التي أخذ بها بديع الزمان النورسي نفسه نجدها تشمل ثلاثة جوانب:تربية روحية،تربية عقلية«أي علمية»،وتربية بدنية.وهذه الشمولية في التربية التي أخذ بها نفسه أهلته للدعوة إلى الله عن جدارة والصمود في وجه الأحداث بكل قوة.

المرحلة الأولى

«سعيد القديـــم»
أو
التوعية والعمل الفردي

عنايته بالعلوم الكونية والعلوم الشرعية

وفي أثناء إقامة سعيد النورسي في مدينة«وان» قرأ في الصحف المحلية أن«غلادستون»وزير المستعمرات البريطاني قد صرح في مجلس العموم-عندهم-وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن،الكريم قائلا:

«طالما أن القرآن مع المسلمين فسيبقون في طريقنا،ولذلك يجب علينا أن نبعده عن حياتهم».

زلزل هذا الخبر كيان الإمام النورسي وأقض مضجعه،وأدرك بحسه الإسلامي الثاقب أن الحروب الصليبية لم تنته بعد،وأن أعداءنا مقدمون على الهجوم علينا بمخطط شامل يقضي على الإسلام والمسلمين.

وبعزة المؤمن،أعلن لأصحابه:

«أقسم بالله أنني سأكرس نفسي للقرآن،باذلا حياتي،مهما كانت مكائد الوزير البريطاني القذرة».

وبعد هذا التصريح وضع مخططا لمجابهة الخطر الداهم، فارتحل إلى اسطنبول عام 1896م وقدم مشروعا لإنشاء جامعة«الزهراء» الإسلامية في شرق الأناضول على غرار الجامع الأزهر في القاهرة وكان قد أقنع السلطان«محمد رشاد»بذلك.

إن فكرة الأستاذ النورسي في بناء«جامعة الزهراء»إنما تنصب على نقطة أساس فيما كان ينقص الفكر الإسلامي يومذاك من فجوة أو هوة سحيقة بين العلم الذي يكتسبه الطلاب من العلوم الشرعية وبين مايدرّس في المدارس الحكومية من العلوم الكونية.

فقال قولته المشهورة كذلك:«إن العلوم الكونية ضياء العقل،وإن العلوم الشرعية نور البصيرة وبامتزاجهما معا تتجلى الحقيقة وبافتراقهما يظهر الخداع والنفاق في الأولى والتعصب في الثانية»(1).

ومهمة هذه الجامعة هي أن تقوم بنشر حقائق وعلوم الإسلام،ودعوة المسلمين إلى التقدم العلمي والإهتمام بترقية حياتهم المادية والمعنوية.

ومن مهمتها كذلك أن تجمع تحت سقفها الطلبة الأتراك والعرب والأكراد والفرس،فتكون صلة بين العناصر المختلفة.

وفعلا بديء في انشاء هذه الجامعة وانفقت فيها أموال ضخمة،إلا أن تقاعس المسؤولين عن العون حال دون إتمامها،فرجع خائبا إلى الشرق.

ومن الموافقات السعيدة أن زار الشيخ«بخيت» شيخ الجامع الأزهر في ذلك الحين استانبول والتقى بالنورسي الذي ذهب هناك هو الآخر بغرض إنشاء الجامعة الإسلامية،وكثيرا ماكانت لديهما الفرص للقاء وعقد المباحثات الطويلة في الشؤون الإسلامية.

ويحكى أن الشيخ بخيت سأله يومًا:ماتقول في أوربّا؟

فقال الشيخ النورسي:«إن أوربا حاملة بالإسلام وستلده يوما ما».

وسأله:ماتقول في الإمبراطورية العثمانية؟

فقال:«إن الإمبراطورية العثمانية حاملة بأوربّا وستلدها يوما ما».

عند ذلك التفت الشيخ بخيت وقال:«إن هذا الشاب لايُجارى..إنني مقتنع بفكرته».

نقده للخلفاء العثمانيين ولجمعية الإتحاد والترقي

وفي سنة 1907 ذهب إلى اسطنبول،وكانت شهرته العلمية قد سبقته إلى هناك،فالتفّ حوله الطلبة والعلماء يسألونه وهو يجيب في كل فن بغزارة نادرة،فاعترف له الجميع بالإمامة،وبأنهم لم يشاهدوا في علمه وفضله أحدًا،حتى إن أحد العلماء عبر عن إعجابه الشديد فقال:«إن علمه ليس كسبيا وإنما هو علم لدني».

وفي أسطانبول قابل السلطان عبد الحميد وقدم إليه طلبا بفتح المدارس التي تعلم العلوم الكونية الحديثة بجانب المدارس التي تدرس العلوم الإسلامية.

وفي هذه الفترة ظهرت آراؤه في الإصلاح والدعوة الى الشورى الإسلامية والعودة إلى الشريعة سواء في مقالاته في الصحف أو مقابلاته مع المسؤولين أو تجواله بين الناس.

أما بالنسبة للخلافة فقد هاجم الأستاذ النورسي الإستبداد بشكل مطلق ودافع عن الحرية بشكل مطلق كذلك،ومما قاله في السلطان عبد الحميد -بعد الإطاحة به-:«إنه وليٌّ من أولياء الله وهو خليفة الأمة الإسلامية وهو السلطان المظلوم»،وهو مع ذلك لم يكن قريبا

إلى الخليفة،إلا في عهد السلطان رشاد،الذي وضع حجر الأساس للجامعة المذكورة،بل كان في بعض الأحيان يهاجم الخلفاء الذين عاصروه وينتقدهم،بما في ذلك السلطان عبد الحميد.

وقد حاولت جمعية الإتحاد والترقي الإتصال به وكسبه الى صفوفها إلا أن بديع الزمان كان يفوت عليهم الفرصة.ومن تتبع آراء النورسي يرى سدادًا ووضوحًا كاملين فيها،فهو لم ينخدع يومًا بالإتحاد والترقي وكل ما في الأمر أنه كان يلقي الخطب في المناسبات وهو مايفرضه عليه علمه والعمل به ولا علاقة لهذا العمل مع الإتحاد والترقي،وإن كانوا في الحكم في ذلك الوقت.

وبمجرد ان اسفرت عن وجهها الحقيقي ونواياها السيئة انقلب عليها وصار يندد بها،وكان من جملة مايقول:«أيها المنحرفون،آذيتم الدين،وأوهنتم الشريعة،فستمسكم غيرة الله،وستكون النتيجة وخيمة».(٦)

إنشاؤه جمعية الإتحاد المحمدي

عندما قامت حركة 31 مارت«مارس»في عهد السلطان عبد الحميد كان حزب الإتحاد والترقي هو الحاكم المسيطر على البلاد،اتخذت الجمعية هذه الحركة التي قام بها الجاويش حمدي وباسم الدين للقضاء على الضباط الشابان والذين يكنون العداء للدين بفعل دعاية الإتحاد والترقي،اتهمت الجمعية-بعد فشل الحركة-عبد الحميد بتدبير الحادث وهو منها براء،وكانت وسيلة مباشرة لخلعه عن العرش.

وبعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني من قبل«الشبان الأتراك»سنة 1908م كان موقف النورسي واضحا،حيث أدرك أنه إنقلاب على الإسلام،واستئصال لجذوره،ومؤامرة خبيثة تهدف إلى تحويل تركيا والعالم الإسلامي الى مجتمعات علمانية التفكير والمعتقد والتشريع والسلوك.

اصطدم بديع الزمان بجمعية«الإتحاد والترقي»التي أعلنت عن نفسها كجمعية دينية ثم ثبتت تبعيتها الى الجمعية الماسونية اليهودية في سلانيك،وفي الحال أوجد بديع الزمان حركة مقابلة بإيجاد جماعة منافسة تحت إسم«الإتحاد المحمدي»كرد فعل على ذلك التحدي،وتحت نفس الشعارات:الوحدة،الحرية،والإصلاح،ولكن مع اختلاف المبدأ

«وهو أن سياستها ومنهاجها وموادها تتفق ومفاهيم الإسلام وشرائعه»،وكتب المقالات الطوال تعزيزا لأهداف منظمته،ولقد وعظ الناس مرارا وتكرارابعد الإبتعاد عن الطريق الذي رسمه القرآن الكريم،وحذّرهم أن البديل عن القرآن الكريم سيكون الرضا بعبودية الغرب،وسيبقون في تلك الحالة أتراكا بالإسم فقط(1)

وكان يدعو إلى الإسلام بكل قوة في وقت خرست فيه الأفواه،فنراه يخاطبهم بقوله:

«بني وطني!..لاتسيئوا تفسير الحرية كي لاتذهب من أيديكم،...لاتطلبوا العبودية العفنة في قوالب براقة وتسقونا من علقمها..إن الحرية لاتتحقق ولاتنمو إلا بتطبيق أحكام الشريعة ومراعاة آدابها...يا أولياء الأمور، إن تطلبوا النصر والتوفيق وافقوا أموركم بمقتضيات سنة الله في الكون،وإلا فلن تحصدوا إلا الفشل والخذلان والخزي والعار...»(2).

الهوامش:

1- من مقال الدكتور محسن عبد الحميد بعنوان:«النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيا»منشور في مجلة«الأمة»القطرية،العدد 18،السنة 2(1402هـ – 1982م).

2-من مقال الدكتور محمد حرب،بعنوان:«بديع الزمان سعيد النورسي:حياته وأعماله»المنشور في مجلة«المجتمع» الكويتية.العدد 498.السنة 11(14 ذو القعدة 1400هـ –23 سبتمبر 1980م)

3-أنظر مقالة بعنوان:«سعيد النورسي»في مجلة«حضارة الإسلام»-بقلم محمد سعيد رمضان البوطي.

4-من أبرز مؤلفات هذا الشاعر قصة«مم وزين»وكان قد قام محمد سعيد البوطي بترجمتها إلى العربية.

5-من مقال الأستاذ جمال عشاق«أضواء على حركة النور في تركيا»المنشور في مجلة«الأمة» الصادرة في قطر.العدد 15.السنة الثانية(1402هـ–1982م).

6 من مقال الأستاذ فتحي يكن«جماعة النور-تركيا»المنشور في مجلة«الأمة» القطرية،العدد 6.السنة1 «1401هـ–1981»

7 المهدية=مريم جميلة«سابقا=مرجريت ماركوس اليهودية-نيويورك».«الإسلام في النظرية والتطبيق».ترجمة:س.حَمَد.ص140.

8 من مقال:«الإمام سعيد النورسي»في مجلة«الشهاب»اللبنانية.العدد 9،السنة8(28 رمضان 1394هـ–15 تشرين الأول 1974م).

كيف حاولت الماسونية أن تعدم النورسي مع العلماء؟

ولقد أثار عمل بديع الزمان هذا مخاوف الماسونيين الذين كانوا من وراء الحركة الإتحادية،فأرسلوا رئيس محفلهم الثري اليهودي العظيم«قرصو»لمقابلته ولكنه مالبث ان خرج من عنده قائلا لرفاقه:«لقد كاد هذا الرجل العجيبأن يزعجني في الإسلام بحديثه»،وقرصو هذا هو أول صهيوني ماسوني عمل على قلب الخلافة العثمانية وخلع السلطان عبد الحميد واستلاب فلسطين(1)..

ولم يستطع زعماء جمعية الإتحاد والترقي أن يتحملوا ذلك النشاط وبالتالي قبضوا على بديع الزمان في مارس 1909م واعدم تسعة عشر من رفاقه،وقد عذبت المحكمة نفسها-التي أعدمت التسعة عشر بالمقصلة-،بديع الزمان،وبعد تنفيذ حكم الإعدام بخمسة عشر آخرين من أتباعه التفت القاضي خورشيد باشا إلى بديع الزمان وسأله:«وهل تريد أنت أيضا تنفيذ الشرع الإسلامي»؟

فأجاب بديع الزمان:

«لو كان لي ألف عمر فإني سأضحي بها بكل سرور في سبيل الإسلام،وأي شيء غريب عن الإسلام مرفوض بالنسبة لي،وأنا في الواقع أنتظر على البرزخ«الحال بين الموت والبعث»العربة التي

ستنقلني إلى الآخرة،وأنا مستعد للرحلة للحياة الأخرى لألحق بإخواني الذين تخلصوا من طغيانك بالمشانق.إنني تواق وعجول لأرى الآخرة،تصور نفسية الريفي الساذج،الذي كان طيلة حياته يسمع عن رخاء مدينة أستانبول،وترفها،وعظمتها،ولم يستطع رؤيتها.

عند ذلك تكن لديك فكرة عن قلقي للوصول إلى الآخرة،أنا متهم بالنقد اللاذع للعقلانيين وصحفييهم المأجورين.وأنا لهذه اللحظة أقول أنه كما أن ملابس المارق لاتليق بالرجل الفاضل المحترم فكذلك الثقافة الغربية وطريقة العيش الأوربية لاتليق بأهل استانبول والعزة لله والنصرة للإسلام».

وقيل له يوما:«إنك باظهار حقائق الشريعة تعمل على تقويض الإنقلاب العثماني،وتتهم بالرجعية..»..فأجاب:«إذا كان الإنقلاب عبارة عن استبداد جماعة في الحكم،ومخالفة لأحكام الشريعة،فليشهد الإنس والجن بأنني عامل على تقويضه،وانني رجعي.

ومما قاله لرئيس المحكمة العسكرية أيضا:

«..لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الإستبداد،والآن فإنها تعادي الحياة،وإذا كانت الحكومة هكذا،فليعش الجنون،وليعش الموت...وللظالمين فلتعش جهنم.

لقد سألتموني:هل أنت داخل في جمعية الإتحاد المحمدي؟وأنا أقول لكم مع الفخر أنني من أصغر أفرادها،ولكن هل لكم أن تخبروني من

هم الذين يوجدون خارج هذه الجمعية غير المجانين والسفهاء؟

وكانت جريمتي الأخرى أني تصديت للرد على دعاة الماسونية والإتحاد من أصحاب الصحف وقلت لهم:إن على الأديب أن يكون أديبا في دعوته..خصوصا إذا كان سمع الأمة ولسانها،وإنني أقول الآن:كما أنه لايناسب الشيخ الوقور أن يلبس لباس الراقصين،فكذلك لايناسب أستانبول أن تلبس أخلاق أوربا»(2)

ودافع عن نفسه في هذه المحاكمة الجائرة دفاعا جريئا،صريحا بليغا أدى إلى تبرئته،ثم إطلاق سراحه بسرعة تحت ضغط الإحتجاجات الجماهيرية.

1 محمد علي ضناوي«الطريق إلى حكم إسلامي»

2 الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي،المرجع السابق،ص140.

زيارة الإمام للشام

بعد براءته من المحاكمة ترك سعيد النورسي حياة المدينة في اسطنبول،وعاد الى«وان»حيث الحياة الخشنة،ومن ثم أخذ يهتم بتثقيف القبائل ثقافة إسلامية،وبدأ بالقاء دروسه ومواعظه مؤلفا كتبا أسماه«المناظرات».

وفي عام 1911م-1327هـ،ذهب في زيارة الى بلاد الشام،فانتقل إلى سوريا،وأقام في دمشق،وقف بديع الزمان مخاطبا العرب من الجامع الأموي هناك،ليلقي خطبته المشهوره«بالخطبة الشامية»(الشام في المصطلح العثماني تعني دمشق)..

وفي هذه الخطبة العلمية البليغة دعا المسلم إلى اليقظة والنهوض والتمسك بالإسلام العظيم،وفيها أوضح سعيد النورسي أسباب تأخر العالم الإسلامي كما شخصها،وتتلخص في تبيانه للأسباب التي تقدمت فيها أوربا في الحياة المادية ويحددها بستة عوامل:

1-اليأس:وقد بلغ فينا مبلغه.

2-فقدان الصدق وعدم تحريه في حياتنا الإجتماعية والسياسية.

3-العداوة والبغضاء..

4- تجاهل الروابط التي تربط المؤمنين ببعضهم.

5-الإستبداد المنتشر انتشار الأمراض السارية.

6-حصر العمل في خدمة المصالح الشخصية.

ثم يختم خطبته متحرزًا من السياسة فيقول موجها خطابه إلى العرب بقوله:

«إخوتي! لاتظنوا أنني أجاذبكم أطراف الحديث لأجركم إلى أمور سياسية،حاشا.إن الإسلام فوق السياسة..كل السياسات يجب أن تخدم الإسلام،وليس لأحد أن يتجرأ لجعل الدين مطية للسياسة.وإنني لراج أن يترك العرب اليأس،ويدعوا الأتراك جيش الإسلام البطل،ويرصوا الصفوف ويرفعوا راية القرآن،وينشروا الإسلام في كل مكان..»

ولقد طبعت الخطبة بعد ذلك باسم«الخطبة الشامية»وكان لها أبلغ الأثر في تنشيط الدعوة الإسلامية هناك.

ومن دمشق ذهب إلى بيروت،فاسطنبول،وقابل السلطان رشاد،فعرض عليه مشروعه القديم بتأسيس جامعة إسلامية في الشرق،فوعده السلطان والحكومة وعدًا قاطعًا بذلك،غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون تنفيذ المشروع.

سقوطه في الأسر ومحاولة إعدامه

وعلى الرغم من معارضة سعيد النورسي لدخول الدولة العثمانية الحرب،غير أنه لما أعلنت اشترك هو وتلاميذه فيها،فالتحق بالجيش التركي،وارتقى الى رتبة ضابط،وقد اعتاد أن يلقي المحاضرات في معسكره لأصدقائه،وأتباعه في مختلف علوم القرآن،وكان المئات من الرجال يتحاوطون المعسكر للإستماع اليه،ومن أعجب الأمور أنه ألف في تلك الغمرة كتابه الرائع«إشارات الإعجاز»وهو أول مؤلف بالعربية.

اشترك بديع الزمان سعيد النورسي متطوعًافي الحرب العالمية الأولى على رأس ثلاثة آلاف شخص من تلامذته،وكان اشتراكهم هذا ضد روسيا القيصرية المهاجمة من جهة القفقاس والتي استطاعت إحتلال بتليس بعد قتال مرير بينهم من ناحية وبين بديع الزمان وتلامذته والمسلمين من أتراك وأكراد وغيرهم من ناحية أخرى.

سقطت مدينة بتليس في أيدي الروس،وجرح النورسي جرحا بليغا ثم وقع في أسر الروس مع البقية المتبعة من تلامذته،إذ كان الكثير منهم قد استشهد أثناء القتال الضاري ضد الإحتلال الروسي،وذهبوا بهم إلى سيبريا.

وبعد ان مكث سعيد النورسي في الأسر حوالي سنتين ونصف السنة حدثت في روسيا ثورة على القيصرية من قبل البلاشفة،فحانت الفرصة المواتية لفراره،وهرب منه بأعجوبة.

قطع النورسي مجاهل قارة سيبريا إلى أوربا،فوصل إلى ألمانيا ثم عاد منها إلى اسطنبول مشيا على الأقدام!! وعند وصوله لها،كان أنور باشا في ذلك الوقت نائبا للقائد العام للجيوش العثمانية ووزيرا للحربية،طالب أنور باشا في وثيقة مؤرخة في العاشر من أغسطس عام 1918م إهداء مدالية الحرب إلى سعيد النورسي مع إهدائه درجة علمية مناسبة جهوده لحث القبائل على الحرب ضد الروس عند إعتداء هؤلاء على نواحي بتليس،فتم تعيين النورسي عضوًا «بدار الحكمة» بأستانبول.

كانت عضوية الدار يومئذ لاتوجّه إلا لكبار العلماء،وكانت تضم علماء من مختلف البلدان الإسلامية،ومن أسباب تعيين النورسي في هذه الدار كذلك،إطلاعه الواسع على العلوم الحديثة.

اشتغل بالتدريس في دار الحكمة،وخصصت له الحكومة راتبا كبيرا،فكان يأخذ منه قدر حاجته ويصرف القسم الأعظم منه في طبع الكتب التي ألفها في الرد على الأفكار الهدامة والإتجاهات المنحرفة فيوزعها مجانا على الناس،وكان يقول في ذلك:

«أكتفي بما يسد رمقي وأعيد الباقي للأمة التي هي أحق به منّي».

وكان أثناء مدة الأسر يعتز بكونه عالما،وكان يرشد الأسرى من المسلمين جنودًا وضبّاطا،ويعرفهم بالإسلام،ويفقههم في أمور دينهم،ويبث فيهم روح العزة والكرامة،فكانت فترة أسره حافلة بالدعوة إلى الله تعالى.

وفي الأسر وقعت له حادثة كادت أن تؤدي به إلى الإعدام؛جاء القائد الروسي«نيقولا فيج» ليتفقد الأسرى،فقام له الجميع وقوفا،ماعدا بديع الزمان سعيد النورسي،أحتد القائد الروسي وسأل أسيره العنيد عن سبب إمتناعه عن قيامه له،فقال سعيد له:

«إنني عالم من علماء المسلمين،إنني أعتز بديني،وتلك العزة تمنعني أن أقوم لأحد،ولا أقوم لك».

أحتدّ نيقولا وأمر بتقديمه إلى محكمة عسكرية خاصة لمحاكمته فحكمت عليه بالإعدام،وعندما طلب منه-قبل التنفيذ-أن يتراجع ويعتذر للقائد رفض رفضا قاطعا،ثم استأذن منهم أن يؤدي ركعتين.عندئذ أكبر نيقولا فيه ذلك الموقف وأتى إليه معتذرًا،يقول:

«لقد ظننت أنك قمت بعملك قاصدًا إهانتي،ولكنني واثق الآن أنك كنت تنفّذ ماتأمرك به عقيدتك وإيمانك،لذا فقد أبطلت قرار المحكمة،وإنني أهنئك على صلابتك في عقيدتك،وأرجو المعذرة مرة أخرى».

ومن المهم أن نلاحظ أن«دار الحكمة الإسلامية»مؤسسة علمية بحتّ،تابعة للمشيخة الإسلامية ولا علاقة لها بقربة من السلطان أو أو البعد عنه.



الإحتلال الإنجليزي ومحاولة إعدامه

بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى استولى الإنجليز على اسطنبول 1918م،كان النورسي يدرك مدى خطورة السياسة على المجتمعات الإسلامية..فإنجلترا كانت في تلك الأثناء الإمبراطورية العظمى التي لاتقهر..ولقد دفعه إدراكه للخطر الإنجليزي على العالم الإسلامي الى وضع كتابه«الخطوات الست» الذي كشف به عن دسائس وأحابيل الإنجليز،بلهجة قوية،وبراهين جلية،مفندًا في ذلك حججهم ومحذرًا المسلمين من أخطارهم وأطماعهم ومؤامراتهم مما عجل في قيام الثورات في الأناضول التي انتهت بطرد المحتلين من بلاد المسلمين..ولم يكتف بالكتابة فحسب بل أخذ ينشره بمساعدة أتباعه وأصدقائه وطلابه سرًا بين الناس،ودعا إلى الجهاد والنضال ضدهم،وحارب اليأس الذي استولى على كثير من الناس.

وعندما قامت حركة المقاومة ضد المحتلين في الأناضول أصدر مع مائة واثني عشر مفتيا وعالما فتوى بتأييد الحركة.

في تلك الفترة،وجه الإنجليز ستة أسئلة إلى المشيخة الإسلامية عن طريق كنيسة «أنكلكان»أريد منها البدء بسلسلة مؤامرات على الإسلام فوجهت المشيخة الإسلامية هذه الأسئلة إلى بديع الزمان

ليجيب عليها بستمائة كلمة حسب طلب الإنجليز فكان جواب بديع الزمان.

«ان هذه الأسئلة لايجاب عليها بستمائة كلمة ولا بستة كلمات ولا بكلمة واحدة،بل ببصقة واحدة على أفواه السائلين.

حكم على بديع الزمان بالإعدام للمرة الثالثة الرسمية..ثم عُدل عن ذلك خوفًا من ثورة الأناضول.

مهاجمته لمصطفى كمال أتاتورك

عندما قامت حرب الاستقلال التركية في الاناضول،وبعد نجاح هذه الحركة سنة 1920م وتأسس مجلس الأمة في أنقرة كان مصطفى كمال أتاتورك يتظاهر بالإيمان والإسلام.وفي أوج الثورة التركية استدعت الحكومة الكمالية بديع الزمان النورسي الى أنقرة بعد ان أصبحت هذه المدينة العاصمة التركية بدلاً من استانبول،وكان الغرض من هذا الإستدعاء هو الحضور لمشاهدة الإحتفال بيوم الإستقلال في أنقره وهذا نظرا لشهرة النورسي وجهاده ضد أعداء الإسلام،وبعد استدعاءات متكررة من مصطفى كمال اتاتورك،جاء بديع الزمان إلى انقرة

سنة 1922م حيث استقبل في المحطة إستقبالا حافلا ورُحب به ترحيبا كبيرا.

سرعان ماخاب ظنه في رجالات الحكومة إذ لم يجد أثرًا للعقيدة الإسلامية،أو العمل الإسلامي في مصطفى كمال،أما باقي المسؤولين فإن معظمهم لايصلون ولا يؤدون الفرائض

الدينية،ولا يهمهم من أمر الإسلام شيء،بل يريدون إبعاد تركيا عن الإسلام نهائيا.

لم يستطع أن يتواءم مع الحكومة الكمالية فغادر أنقرة دون أن يشاهد الإحتفال ثم أرسل بيانًا مطولاً إلى المجلس النيابي الذي ترأسه مصطفى كمال.

لقد أوضح في بيانه رأيه من أن أعضاء مجلس الأمة الذي يمثل الشعب التركي المسلم يتصرفون تصرفًا قد يبعدهم عن الإسلام بعد ذلك،وضمّنه نصائح لهم في عشر فقرات ،وقد ابتدأت كلمته كما يلي:

«يا أعضاء البرلمان:أذكروا اليوم الذي ستُعرضون فيه على الله،مالك يوم الدين»،فقرئت الكلمة في البرلمان من قبل كاظم باشا،فكان لها تأثير عجيب على الأعضاء الذين أقسم منهم على الفور مالايقل عن مائة وستين،أن ينتهجوا حياة إسلامية وأن يؤدوا صلواتهم اليومية الخمس بانتظام.

أثار هذا العمل حفيظة مصطفى كمال،فاستدعى بديع الزمان ودخل معه في مناقشة حادّة وفي ديوان المجلس النيابي،وكان مما قال له كمال:«إننا فخورون بك كقائد لنا،ولكنك لسوء الحظ،أوجدت الفرقة منذ البداية بتركيزك على أهمية الصلاة،وإننا لم نسمح لكم أبدًا أن تتمادوا فتطالبوا بإقامة الشعائر الدينية وتوقعوا الشقاق والخلاف والخصومة بين رجالات الأمة».

فقاطعه الإمام بتلاوة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تبين مكانة الصلاة وأهميتها،ثم يلوح بسبابته مهدّدًا،ويشير بها إلى عين رئيس الدولة مصطفى كمال صارخا في وجهه-أمام مجموعة من النواب والشخصيات:

باشا..باشا..إن الصلوات اليومية هي أول علامات يُعرف بها المسلم،وذلك ترفضه أنت،ومن ينكر ذلك فهو عاص لله إن أعظم الحقائق التي تلي الإيمان هي الصلاة..وإن تارك الصلاة خائن،وحكم الخائن مردود،ومن هنا فلا يمكن الرضا بحكمك».

فكر مصطفى كمال أن أحسن طريقة لتهدئة خاطره هي أن يعيّنه رئيسا للوعاظ في إقليم أناضوليا،وكعضو تنفيذي في جامعة دار الحكمة،واعطي قصرًا فخما لإقامته،وجعله من المقربين إليه.

وقد عرف بديع الزمان مقاصد كمال أتاتورك،فرفض كل شيء وهاجر من أنقره،حيث عاش حياة عزلة بالقرب من قان،بعد أن تزلف له النواب طويلا أن لايفارقهم.

إن كل هذه المرحلة التي مر بها الأستاذ النورسي.هي مرحلة العمل الفردي،أي ماقبل 1926م.

أما المرحلة الثانيه فهي مرحلة«دعوة النور» التي بدأت بعد هده السنة.فالأستاذ النورسي يفصل بينها بتعبيره «سعيد القديم»أي النشاط السياسي.والقاء الخطب.وكتابة المقالات والبحوث

في هذا الميدان«وسعيد الجديد» أي التربية والتكوين والإنكباب كليًا على نشر رسائل النور.

إبتعاده عن السياسة

لم ينتقل بديع الزمان سعيد النورسي الى مرحلته الجديدة إلا بعد اختيار دقيق وتجارب طويلة عاشها ما يقارب ثلاثين سنة فتوصل عن قناعة تامة ويقين راسخ أن العمل في أروقة السياسة ودهاليزها غير مؤهل في تلك الظروف للعمل الإسلامي الخالص لوجه الله تعالى،فهو عمل مشكوك فيه وفي نتائجه.

ولهذا توجه إلى تأليف الرسائل وتركيز العقائد والتربية الإيمانية ليرفع بنا سد قرآني-كسدّ ذي القرنين-أمام تخريبات الدجال الجديد«كمال أتاتورك».

هاجر النورسي الى أنقرة،وفي هذا المكان صار يجمع الشبان من المناطق المجاورة ويعلمهم القرآن،فكان في بادىء الأمر يشرح معاني ألفاظه الحرفية،ثم يوضح مدلولاتها العميقة ومضموناتها.وهكذا كان يطرح أمامهم جمال الآيات،واضعا تركيزا خاصا على مدلولاتها الروحية والمادية والعقلية،فيما يتعلق بالحياة الدنيا والحياة الأخرى.وكان يشرح لهم،بكل حيوية،أسرار الطبيعة،والقوى المختلفة التي هي في متناول البشر الذين يمكنهم الإستفادة منها،شريطة أن يعيشوا حياة عادية بسيطة فاضلة،تتفق مع القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم ﷺ،وقد كتبت هذه الأبحاث بشكل مقالات طوال،ثم أصدرت ضمن مجموعة الرسائل، التي كتبها النورسي فيما بعد.

تأليفه رسائل النور وانتشارها

وبدأ الصراع..واستطاع كمال أتاتورك أن يحول تركيا الرسمية عن الإسلام،عكف بديع الزمان على كتابة الرسائل مستهدفا التوعية الإسلامية ومقاومة أتاتورك بالفكرة والمبدأ،وكانت جلها تتعلق برد الشكوك وتقوية عقائد المسلمين وتتناول أبرز المشكلات التي يعاني منها الإنسان المعاصر في ضوء القرآن وتفسيره،وهذا حتى يقاوم الإنحراف الذي بدأ يدخل في المجتمع نتيجة لتأثير أبنائه بالمذاهب المادية التي جاءتهم من الغرب.

أما كيفية إنتشار هذه الرسائل بين الناس ففيها الأعجوبة الخارقة التي تكشف عن مدى ماتفعله عقيدة هذا الدين في نفس صاحبها إذ تحول فيه الضعف إلى قوة والجبن إلى شجاعة.

كان أتاتورك إذ ذاك قد أسفر عن وجهه...فالغى جميع وجوه النشاط الإسلامي وفي مقدمتها الكتابة بالأحرف العربية وما قد يتضمنها من بحوث وتعليمات إسلامية،فكان سبيل جماعة النور إلى نشر رسائل الأستاذ هو أن يأخذ كل فرد على نفسه كتابة مايمكن من النسخ عن كل رسالة تظهر،فإذا وزعها على القراء كان على كل من هؤلاء أيضا أن يقوم بنفس الوظيفة،وهكذا تتكاثر هذه الرسائل في الأيدي عن طريق التوالد المطرد،وكما تنتشر الدوائر المتداخلة على سطح الماء إذ يقذف فيه بحجر تنتشر هذه الرسائل بسرعة مذهلة في مختلف البلدان والقرى والمجتمعات والكليات والمكاتب الحكومية.

لقد ظلت«جماعة النور» قرابة عشرين عاما تنشر«رسائل النور»بهذه الوسيلة،فقد كانت أيدي الشبان والفتيات تقوم بما تعجز عنه آلات الطباعة،حتى لقد قيل في حقها:«إن الإيمان قد تحدى التيكنولوجيا»،حيث نشرت من رسائل النور بخط اليد أكثر مما نشر من الكتب المطبوعة آنذاك،فكانت كتابة كلمة واحدة من الإيمان والإسلام-في تلك الإيام -جريمة كبرى يعاقب عليها صاحبها أشد العقوبات خاصة وأنها مكتوبة بالأحرف العربية.

ففي الفترة السوداء المظلمة كان الإنكباب على نسخ الرسائل جهادًا مابعده جهاد حقًا،وكثيرا ماتعرضت فتيات للسجن والتنكيل إذا ظهر للسلطات أنها تسهر الليالي الطويلة وهي تنسخ هذه الرسائل ثم توزعها في صناديق البريد أو في صفوف المدارس.

لقد تسربت هذه الرسائل بطريقة مدهشة عبر قنوات كثيرة واستنسخت منها ألوف النسخ وانتشرت من أقصى تركيا إلى أقصاها فنبهت الناس إلى حقيقة قضية الإسلام مع أعدائه وأنقذت الكثير من المخططات الفكرية الرهيبة لفصل المسلمين عن عقيدتهم وحضارتهم وتراثهم والتي شنت على الإسلام بذكاء وتخطيط اشتركت فيها أجهزة الإعلام كلها.

وفي الحال صادرت الحكومة تلك الكتيبات،ووضعت أتباع النورسي في السجون.

* *

محاكات لاتنتهي

كان بديع الزمان قد توجه إلى مدينة «وان»سنة 1923م بعد ثمانية أشهر قضاها في أنقرة،وكان يقضي أيامه في خرائب كنيسة قديمة مهجورة على جبل«أرك»متعبّدًا متأمّلاً.

ومع ذلك فإن الحكومة لم تطمئن لوجوده طليقا فأرسلت ثلة من الجند أعتقلته إلى مدينة«أسطنبول»،وكانت التهمة هي محاربة العلمانية في رسائله وحكم عليه بالسجن.

ومن أسطنبول نفي ثانية الى مدينة«بوردور» حيث أحيل الى المحاكمة وكانت التهمة هذه المرة إثارة روح التدين في تركيا.

وما أن خرج من مدينة بوردور حتى اعتقل ثانية وقدم للمحاكمة،كانت التهمة هذه المرة هي العمل على هدم الثورة الكمالية ووصم مصطفى كمال بعداوة الدّين والدّجل لأن بديع الزمان لم يكن يسمى مصطفى كمال إلا باسم«الدجال»،فنفي هذه المرة إلى«بارلا»وهي قرية نائية فوق سلسلة جبال طوروس العالية،وكان الحكام يومئذ يعتقدون أنهم بنفيهم الأستاذ قد قضوا عليه وعلى طاقاته في قيادة حركة مقاومة الإلحاد والإستبداد ومحاربة الإسلام،لكنهم كانوا مخطئين،إذ غدت هذه المنطقة النائية مصدر إشعاع كبير للإسلام؛ففيها كتب الأستاذ رسائله العظيمة في بيان حقائق الإسلام

ومحاربة التيارات الملحدة والمشككة ودعوة المسلمين إلى المحافظة على عقيدتهم وإسلامهم.

مكث النورسي ثمان سنوات في بارلا بالسجن تحت الحراسة الشديدة،حيث كان يطهي طعامه ويغسل ملابسه بنفسه.وفي أثناء ذلك أصبح حرّاس السجن أيضا من تلاميذه.

وفي سنة 1932م صدرت الأوامر بمنع الآذان باللغة العربية،إلا أن الأستاذ وجمعًا من طلابه لم ينفذوا هذا القرار،فكانوا يؤذنون داخل المسجد باللغة العربية،فاكتشفت السلطات هذا،فشنت حملة اعتقالات واسعة شملت النورسي نفسه،فقدم إلى محكمة عسكرية وحكم عليه بالسجن أحد عشر شهرًا مع مائة وعشرين من طلابه.

وفي عام 1935م وجهت إليه الحكومة التركية اتهاما بأنه يشكل جمعية سرية ضد النظام،واقتيد الى محكمة«أسكيشهر»حيث قالوا له:«إنك تتآمر على قلب نظام الحكم»،فدافع عن نفسه دفاعًا شديدًا،وكان مما قاله:

«إن دفاعي هو أن إمكانية نجاح أية حركة لاتعني أن تلك الحركة قد نجحت بالفعل،وأن الحكومة قد قُلبت،فعلى سبيل المثال،فهناك كل الإمكانية،لأن يحرق عود ثقاب بيتا،ولكن مالم يحترق البيت فلا يمكن اتهامي بحرق البيت عمدا.

ولكي اقول الحقيقة، فأنا

لاأريد إستلام أزمة الحكم بيدي،ولكني أريد أن أرشد الناس إلى طريق الله،وأناأيضا أتهم بالصوفية،إن الإنسان يستطيع أن يدخل الجنة دون أن يكون صوفيا،ولكن لايستطيع إدراك ذلك دون الإيمان بالله وإطاعة شرائعه،أنتم تقولون أن ما أعلمه لاتقرّه الحكومة،وأن هناك دائرة لمثل هذا العمل ويجب عليّ أن أحصل على رخصة من الحكومة لأمثاله.أآخذ رخصة لإطاعة الله؟؟أتستطيعون إيقاف الموت باغلاق المقابر للأبد؟وأنتم تسخرون مني لأنني لم ألبس قبعة أوروبية ثم أرفعها لتأدية شعائر التبجيل للحكمة الموقرة،فاذكروا أن القلة القليلة فقط هي التي تزيت بها طوعا.بينما أجبرت الملايين على لبسها قسرًا.أليس من العار أن يسمح للماسونيين أن ينالوا من الإسلام،وأن يشجعوا الغنا،والقمار،والزنا كجزء من حملة رسمية لتعميم الثقافة الأوربية،بينما نمنع أنا ورفاقي من نشر رسالة القرآن الكريم ومن العمل في سبيل الله؟ لقد وُصمت كثائر ضد الديمقراطية،بينما كنت أنا فتاها منذ صباي،إني أطرح جزءًا من طعامي للنمل لإعجابي بتنظيمه الديمقراطي،فمنذ عشرين عاما لم تستطع ثلاث حكومات ومحكمتان،بل ومصطفى كمال نفسه العثور على زلّة في حياتي،فكيف بالتهمة أنني عدو للدولة،ولذلك آمل أن يسمح لي بمواصلة رسالتي بسلام».

كانت نتيجة المحاكمة نفيه إلى«قسطموني أوكاستموني» على البحر الأسود حيث بقي شبه سجين سبع سنوات،ولكنه حتى في هذه الحالة ظل يكتب البحوث والمواضيع الإسلامية ويهيب بالمسلمين أن لايتركوا دينهم ويصيح بالشباب أن لايعصب عينيه بعصائب الجهل بالإسلام،وظلت النشرات تنتقل سرًا ..إلى صفوف الجامعات ومعسكرات الجيش ودواوين الحكومة،ولقد كان انتشار هذه الرسائل مصدر إزعاج شديد للدولة.

شعر كمال أتاتورك بالزلزال يسري في كيان حكومته،فعقد إجتماعا سريا دعا إليه كبار رجال الماسونية الذين ساهموا مساهمة فعالة في تقويض بناء الخلافة الإسلامية وبناء الحكومة الكمالية على أنقاضه،انتهى باتفاقهم على إحالة بديع الزمان مرة أخرى للمحاكمة بتهمة تأليف جمعية سرية والعمل على الإساءة لحكومة الثورة وإتهام مصطفى كمال بالدجال.

وفي عام 1943م،قدم للمحاكمة العليا-من جديد-في مدينة دينزلي،أما التهمة الموجهة إليه فهي تشكيل جمعية سرية تحرض الشعب على القيام بتمرد ضد الحكومة،وهدم ماقامت به الثورة التركية من إنقلابات،ووصف كمال باشا بأنه دجال وهدام للدين.

لقد وجدت محكمة القضاء في وقت سابق أن هذه القضية لا أساس لها.وهناك سابقة في القانون معروفة جدًا وهي أن الرجل

لايجب أن يدان مرتين بنفس الجريمة،ومن هنا ارتاب بعض القضاة،وكثير من المحامين،فيما إذا كانت قضيته صحيحة.

فكان من السخرية أنه بالرغم من إجراءات الأمن المشددة،أصبح القضاة أنفسهم الذين امتحنوه،من المعجبين به آخر الأمر وساندوا رسالته.ولكن العهد الكمالي الدنيوي الظالم أراد أن يسلب بديع الزمان حريته ليس إلا،وأن يسلبه الدعوة لحركته.

وقف بديع الزمان وكثير من أعضاء جماعته أمام المحكمة..وكان مما قاله:

«إنني لا أتوجه في بياني هذا إلى أعضاء هذه المحكمة فحسب بل وإلى تلك الجماعة الماكرة في اسبارطة أيضا..وإني لأعجب كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته باتباعهم للسياسة والجمعيات السرية،على حين يحق لمارق مثل«الدكتور دوزي»أن يفتري على القرآن وحقائقه في وقاحة وإصرار ثم يعتبر أمرًا مقدسا بذلك،لأنه حرية للرأي والفكر،أما نور القرآن الذي يأبى الا أن يشع في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره فهي خطورة ينهال عليها بجميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة.

«إنكم تدورون ثم تقولون:إن أعمالي الدينية ماهي إلا استغلال ووسيلة للإخلال بالأمن ولكن أقول لكم بالمقابل:إن دعواكم هذه ليست إلا استغلالا ووسيلة لأعدام الدين باسم المحافظة على

الأمن..إذا فإن تلك المادة ذات الرقم 163 ماهي إلا عبارة عن كرة تقذفون بها إلى حيث أردتم وما إرادتكم إلا معاداة الدين،إذا فاسمعوا يامن بعتم دينكم بدنياكم وتنكستم في الكفر المطلق إنني أقول بمنتهى ما أعطاني الله من قوة:إفعلوا مايمكنكم فعله فغاية مانتمناه أن نجعل رؤوسنا فداء لأصغر حقيقة من حقائق الإسلام».

لقد صار الجزع يستبد بأفئدة السلطات ؛فقد رأوا أن تيار النور سيكتسحهم لامحالة،وشعروا أن دائرة الإلحاد واللادينية تنتقص أطرافها بسرعة مذهلة،وأن الواجهة الثقافية والفكرية للشعب التركي من علماء وأدباء ومفكرين واساتذة جامعة ينضوون تباعا تحت لواء هذه الدعوة بحماسة منقطعة النظير.

استمرت محاكمة سعيد تسعة اشهر ظل خلالها معتقلا،وانتهت المحاكمة ببراءته،لكنه أجبر على الإقامه في«أميرداغ»وهي منطقة تابعة لمحافظة«أفيون»وأخيرا أحيلت القضية إلى محكمة إستئناف فأبقتها معلقة مدة عشرين شهرًا.كل ذلك والمجدد المسنّ يرقد في السجن في«سبارتا».

ولعلنا نكون معذورين إذا اختلف علينا أمر المحاكم وتواريخها التي قضى الأستاذ النورسي طيلة حياته بين جدرانها أو بين النفي والتشريد والمراقبة الشديدة إذ أن سيرة حياة هذا الرجل الكبير تعد أعجوبة من أعاجيب الدهر حقًا فهو لم يذق طعم الحرية مثل الناس **أبدًا.**

كان ما إن يخرج من محكمة حتى يساق إلى محكمة ومن سجن إلى سجن فما لانت له قناة وما وهنت له عزيمة ولا تراجع عما يؤمن به قيد أنملة،بل أزداد إصرارًا؛ففي إحدى رسائله التي كان يوجهها الى رئيس الجمهورية،ورئيس الوزراء،خاطبهما بقوله:

«إنني غير مهتم بالأحكام التي ستصدرونها بحقي،لقد ناهزت الخامسة والسبعين.أيُّ سعادة لي أعظم إذا رزقت الشهادة ختامًا لحياتي؟».

ومرة أخرى قدم للمحاكمة بتهمة التحريض على الإخلال بالأمن الوطني فرد على التهمة قائلا:

«أتفترضون أيها الحكام أنني أعمل لغاية نفعية،ها أنذا أمامكم شيخ يحمل على كتفيه أثقال الثانين،رجله في القبر،فقير لاأملك من متاع الدنيا شيئا،لامال ولا عقار،فماذا تروني صانعا وأنا في هذه السنّ بمتع هذه الحياة الدنيا؟لقد قضيت حياتي فوق ساحات الوغى،كما عانيت الإعتقال في محتشدات الأسرى،وعشت طريدا بين المنافي والسجون..لقد طاردتموني من مكان لآخر وأبعدتموني من مدينة لغيرها كأنني متشرد منبوذ من المجتمع،ولم تتورعوا حتى من حرماني من الإتصال بأهلي وأقاربي وأصدقائي ولو لم يكن إيماني واحتسابي يعصمانني من الوقوع في وهْدة اليأس لاستطبت الموت على مثل هذه الحياة المنغصة..ولكن هذه الحياة على غصصها والامها

أتاحت لى أن أكتب«رسائل النور» التي بفضلها أتيحت السلامة **من** العذاب الدائم لما يزيد على النصف مليون من الناس،فالله أحمد ألف مرة وإياه أشكر أن وفقني للتضحية من أجل قومي.(3)

وعندما دخل سجن «أميرداغ»المذكو، آنفا ضيقوا عليه الخناق أكثر من أي وقت مضى.فقد زج في زنزانة لاتتسع لأكثر من فراش صغير قذر،تعوم وسط رطوبة عفنة باردة،أما طعامه فلم يكن أكثر من قدح ماء وكسرة من الخبز اليابس تقدم له مرتين في اليوم،ومع ذلك فقد دست له السلطات في احدى هذا الوجبات سمًّا ناقعًا للتخلص منه بدون أن تعرضهم محاكمته لنقمة الملايين من المسلمين،ولكن أعاجيب لطف الله خيب آمالهم في ذلك.

وكانت محاكمته هذه المرة أهم أحداث عام 1948م في تركيا،فقد علقت الصحف والمجلات أنفاسها،لتستمع إلى بيان بديع الزمان وإلى ماتنتهى اليه هذه المحاكمة،ولقد سجلت فيما بعد وقائع هذه المحكمة مع بيان بديع الزمان،وبيانات بقية طلابه الذين حوكموا معه في كتاب ضخم بعنوان محكمة آفيون الجزائية.

وكان الحكم الذي أصدرته هذه المحكمة بحق بديع الزمان هو السجن مدة عشرين شهرا،غير أن ثلة كبيرة من المحامين والقضائيين أعلنوا عدم شرعية هذه المحاكمة بسبب أنها أنبنت على نفس التهم التي حوكم بديع الزمان قبل ذلك بسببها وثبتت براءته،وهكذا أحيلت

القضية إلى محكمة التميز،ولكن السلطات ظلت تماطل في النظر في الحكم إلى أن أنقضت المدة التي حوكم عليه بها وقد كان هذا هو كل قصد الحكومة:أن يحجز بديع الزمان عن الناس ويجمد نشاطه ونشاط أتباعه.

لقد كان يلقى في كل مرة أمام المحاكمات دفاعًا بليغا مفعمًا بالمنطق،مسندًا بالأدلّة،عارضًا مأساة الإسلام والمسلمين بكل قوة وشجاعة،ولعله قد بلغ أقصى مدى في أحد دفاعاته في أخريات أيامه عندما قال:

«ألا فلتعلموا جيدًا بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من شعر،وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق،ولن أتخلى بحال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية».

رفع القيود عن الإمام النورسي وجماعته

استمر بديع الزمان سعيد النورس على حالته السابقة من الإعتقالات والمحاكاة والسجن والتشريد إلى سنة1950م حيث جرت أول انتخابات حرة في البلاد أتت بالحزب الديمقراطي إلى الحكم،فبدأت تخف الحملة الوحشية التي شنت على الإسلام من ربع قرن كامل خاصة في عهد«عصمت إينونو».

ظهرت سلسله من التسهيلات التي أدخلتها الحكومة إذ ذاك على قانون أتاتورك فيما يخص الثقافة والنشاط الديني.وكان هذا يضغط من جماعة النور التي اكتسحت كل شيء.

سمحت الحكومة للنورسي بالحركة المحدودة بين المدن التركية،فظل نشيطا في توجيه وتربية تلاميذ النور؛يكتب لهم ويرشدهم ويشرف على طبع رسائله وكتبه بنفسه.

وفي سنة1952م وصل بديع الزمان سعيد النورسي إلى استانبول،ومنها عاد الى أميرداغ وكان في تلك المرحلة يملي على طلبته رسائله فيدوّنها بالأحرف العربية وينشرونها بين الناس،فكثر طلابه والمؤمنون بفكره،وظلت أعدادهم في ازدياد.

لقد أصبحت مؤلفات سعيد النورسي بمثابة المرشد للأتراك المسلمين يقرؤونها ويفيدون منها،وتشكلت حولها الحلقات.

أما رسائل النور فهي كما يصفها«أشرف أديب»=«تفسير حقيقي للقرآن الكريم وإن لم يكن بترتيب الآيات القرآنية كل على حدة،اتبع فيها«سعيد النورسي» منهج الاحتياج».

أما كنه هذه الرسائل فهو:«رد تشكيكات شياطين الجن والإنس،وتقوية عقائد المسلمين في طريق الحق والصواب».

اما عددها فقد بلغ 130 رسالة،واصبح لها من الطلاب–ويسمون طلاب رسائل النور–أعداد كثيرة منتشرين في جميع أنحاء

تركيا،ويشكلون قوة لها تأثيرها في تيار الحركة الإسلامية في تركيا،بل وفي مجريات السياسة التركية أيضا.

يعكف طلاب النور على قراءة رسائل النور في حلقات داخل مايسمى بـ«درس خانة»حيث يتدارسون الرسائل ويتفهمون مابها ويثيرونها بشكل منتظم رتيب.

وسمحت الحكومة بطباعة رسائل النور بمختلف وسائل الطباعة،فانتشرت الرسائل في كل بلدة وسوق ومسجد ومدرسة وجامعة،بل كثيرا ماكانت آلاف النسخ منها تمطر فوق رؤوس الناس بواسطة إلقائها من الطائرات بواسطة ضباط ينتمون إلى حركة النور،ولم يكن هذا شأن هؤلاء الضباط الآن فقط،بل كان موجودا قبل ذلك في زمن «الرجل الصنم»



وفاة الإمام بديع الزمان النورسي

وفي شهر آذار(مارس)1960 ليلة الثاني عشر من رمضان مرض مرضًا شديدا،فانتقل من اسبرطة إلى أورفة حيث أسلم الروح الي بارئها ليلة الأربعاء في الخامس والعشرين من رمضان 1379هـ – الموافق 23 آذار(مارس)1960م،وتم دفنه في تكية خليل الرحمن في أورفة حيث ذهبت جموع هائلة من الناس تشيعه.

وعندما قامت ثورة 11يوليو عام 1960 في تركيا«وهي الثورة التي قام بها الجيش بقيادة جمال كورسيل ضد حكم عدنان مندريس والتي أدت إلى اعدام هذا الأخير»أمر الثوار الجدد–الذين أفزعهم جموع المشيعين الهائلة قبل–بنبش القبر عمدًا وسرقة جسده الطاهر وإعادة دفنه في اسبارطة في مكان مجهول.

وهكذا وبعد ستة وثمانين عامًا من تجارب الحياة.وبعد خمسة وثلاثين سنة من النفي والتشريد والسجن في خدمة قضية الإسلام،انتهت حياة بديع الزمان سعيد النورسي تحقيقا لقوله تعالى:«يأيها الذين آمنوا أتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون..»(4)

لقد سكت القلب الكبير وفقا لسنة الخالق في الكون وعزاء المسلمين الوحيد فيه هو أنه ترك خلفه كتبا تبين للناس الطريق المستقيم وتفضح أعداء هذا الدين،ترك خلفه صدقاته الجاريه،وكلماته الطيبة والعلم الذي ينتفع به،لقد ترك خلفه ملايين المؤمنين،بدعوته،العاملين على إعادة الحق إلى نصابه،أولئك هم«جماعة النور» المباركة.

ويروى أن بديع الزمان عاش في أواخر حياته منعزلا عن الناس،في مدينة«اسبارطة»إلى أن كان قبل وفاته بثلاثة أيام.حيث اتجه مع بعض من تلامذته في سيارة صغيرة إلى«أورفة»دون أن يستأذن من السلطات،فقد كان محجرا عليه التنقل من بلدة إلى أخرى،وقبل أن تدخل بهم السيارة مدينة أورفا عارضتهم قوة من الجيش وأمرتهم بالعودة إلى المكان الذي قدموا منه،ولكن بديع الزمان قال لهم في هدوء دون أن يتحرك من داخل السيارة:يبدو أنني لن أستطيع الإجابة إلى طلبكم،ولكني أؤكد لكم أنني لن أبقى في أورفا أكثر من يومين.فتخلت جماعة الجيش عن طريقه،ودخل أورفا.

وبعد يومين من دخولها إليها،أعلن العالم الإسلامي عن وفاة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله رحمة واسعة،وغفر له،وجعله من عباده المقربين.

الإمام بديع الزمان النورسي

آثاره وأفكاره

شيء من خصائصه وشمائله:

●كان سعيد النورسي نصف أمّي،لايكتب إلا بصعوبة وجهد،ولذا فقد كان في أكثر أحيانه يسجل كتبه ورسائله بواسطة الإملاء.

لم يتزوج بديع الزمان،وعاش كل حياته عزبا،وحينما سئل عن سبب إختياره لحياة العزوبة أجاب:إني لاأستطيع أن أقوم بواجبات الزوجة على ما أنا فيه من حياة القلق والإضطراب،ولقد صدق بديع الزمان،فلقد عاش حياة كلها عزلة وانفراد،ونفي وسجن.

عاش بديع الزمان عمره كله مبتعدا عن الصدقات والزّكوات والهدايا من أي مصدر كانت.ولقد جاءه مرة وكيل وزارة المعارف الباكستانية بهدية من المال الوفير،فاعتذر عن قبولها قائلا،إنك تحملني بذلك على الإخلال بقاعدتي التي ألتزمها في حياتي،إن من أهم التهم التي توجه في هذا العصر إلى أهل العلم ودعاة الإسلام:جمع المال

من الناس،وإنني مدعو-بما اقامتني الاقدار فيه من هذه الوظيفة-إلى محاربة هذه التهم بالتزام رفض أي مال يأتيني من أي إنسان.

وحينما دعاه وكيل وزارة معارف باكستان إلى الهجرة إلى باكستان،حيث سيجد هناك تقديرًا أكبر لعلمه ودعوته ويعيش في نجوة من هذا العذاب الذي يعانيه.أجابه:

«إن الداء الذي دبّ إلى جسم العالم الإسلامي،إنما نبع من هذا المكان بالذات،ولا جدوى من أي محاولة تكون بعيدة عن مكمن الداء،إن الفساد الذي ينتشر اليوم في العالم الإسلامي إنما انطلق من هنا،حيث الخطط الصهيونية،والأفكار الشيوعية،والمؤامرات الماسونية،وإن من الخيانة أن أهرب من وجه هذا كله الى مكان آخر(1).

لقد عاش بديع الزمان سعيد النورسي حياة متواضعة شريفة ورعة،فكان كلما داخله الشك في أية حالة تورّع الفصل فيها طبقا لتعاليم الرسول الكريم ﷺ :«دع مايريبك إلى مالايريبك»(2)،وهكذا كان في أطوار حياته،إذا وجد نفسه في مشكلة يسترشد بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ،وكان يتورع عن تناول الطعام إذا داخله فيه شك فيقنع بأكل الخضار،بل والأعشاب،وكان من عادته أن يطرح شيئا من طعامه للنمل.

كان يلحّ على جماعته بأن لايربطوا حركة النور ورسائله باسمه قائلا:

«إن هذا ظلم كبير للحقيقة..إن الحقيقة الخالدة لايمكن لها أن تتأسس على كاهل شخص..يجب أن تعلموا أنني مجرد «دلاّل»أنادي على بضاعة القرآن ومعجزاته الموجودة بين يدي الإنسان في كل عصر..إن من أكبر الخطأ إتخاذي مظهرًا أو قائدًا لحمل هذه الرسالة،إذ أن شخصي معرض دائما للتهم والنقد والهجوم والإيذاء،وفي ذلك مايضعف من قيمة رسالة النور نفسها عندما تقرن بي على أنني الموجود لها والمبدع لحقيقتها،لاتربطوا رسالة النور بشخصي الفاني لئلا تضروها بذلك،ولكن أربطوها بمنبعها الأصيل فهو بعيد عن أي متناول».

* *

موقفه من التصوف

لم يكن الأستاذ النورسي في يوم من الأيام صوفيًا ولا داعية للتصوف-كما يظن البعض-بل أنه أعلن مرارًا وكتب تكرارًا حول التصوف ومذاهبه.

لقد كان زاهدًا،يدعو إلى تطهير النفس والإخلاص لله وإنقاذ الإيمان من مخاطر الآراء والفلسفات المادية،ولكنه لم يكن صوفيا صاحب طريقة يحيط نفسه بهالات المظاهر البدعية الباطلة،بل كان يعتقد أن عصره هو عصر إظهار حقائق الإسلام وتقوية الإيمان أمام الغزو الثقافي الفكري المركز الذي شنته الدوائر الإستعمارية في ظل حراب جيوشها على الأمة الإسلامية.

وفي رسالة حول«الولاية والتصوف»انتهى إلى أن هذه الدنيا دار حكمة وعمل وسعي،وليست دار جزاء وثواب،لذا فلا تطلب فيها اللذائذ والأذواق،ولا يقصد فيها الكرامات،وإنما ينبغي فيها الإلتزام بالشريعة لأن الحقيقة والطريقة وسيلتان لخدمة الشريعة،ولا ينسى النورسي أن ينبه على بدع وانحرافات بعض المتصوفة في آخر الرسالة ويرد على القائلين،بوحدة الوجود ووحدة الشهود بحجج قوية منطقية مع الإحترام الكبير لشيوخ التصوف الصادقين الملتزمين

بالكتاب والسنة من أمثال الإمام الغزالي،والشيخ عبد القادر الكيلاني،والشاه النقشبندي،وأحمد السرهندي الفاروقي المشهور بالإمام الرباني.

ونعل من المفيد للجميع أن أنقل هنا قولته المشهورة: «إن عصرنا هذا ليس بعصر تصوف،وإنما هو إنقاذ الإيمان،فإن الكثير يدخلون الجنة دون تصوف،إلا أنه لن يدخلها أحد دون إيمان،ويمكن للإنسان أن يعيش بلا فاكهة،ولكن لايمكن ذلك بلا خبز فالتصوف فاكهة والإيمان خبز..»،وأمثلة من هذا كثيرة،وغني عن القول أن الزاهد هو غير الصوفي،فالنورسي كان زاهدًا حقًا إلا أنه لم يكن صوفيا قط.

أما جماعة النور–وإن كانت تعتمد الأسلوب الصوفي في تربية الأفراد–فهم كذلك بدورهم ليسوا بصوفيين مطلقا،وإنما هم أهل تقوى وورع وعمل دائب ونية حاضرة للعمل في سبيل الله،لذلك فهم غالبا أبعد الناس عن الضجة والأضواء مخافة أن يخدش إخلاصهم شيء من أعراض الدنيا.

موقفه من الحضارة الغربية

يرفض بديع الزمان النورسي–من منطلق كونه مفكرًا إسلاميا–الأسس الثقافية في الحضارة الغربية إعتبارا من عصر اليونان إلى اليوم،إذ نلاحظ في رسالته«أنا»تحديدًا رائعًا للفلسفات اليونانية كلها،وتبيان تفاهتها أمام أساتذية القرآن الكريم،والمنهج العلمي الإستقرائي والقياسي الذي وضعه لفهم حقائق الوجود،ويحدد موقف الإسلام بدقة ممن انجرف معهم من الفلاسفة المسلمين كالفرابي وابن سينا،قائلا:

«إن هؤلاء الأذكياء لم ينالوا سوى أدنى درجة من درجات الأيمان»،ويحاول في رسائله كلها قطع جذور الثقافة الغربية وتأثيرها في الثقافة الإسلامية المعاصرة،لأنها انطلقت من تلك المبادىء المادية الجاحدة،والتي أوجدت حالة من القلق والفوضى الفكرية والتشكيك والإلحاد في العالم الإسلامي مستغلّة تأخر المسلمين وجهلهم بدينهم،بعد أن يفصل الفلسفة الخادمة للدين من الفلسفة المادية الجاحدة.

أما موقفه من الجوانب العلمية من الحضارة الغربية فهو موقف المسلم الذي رفض عليه إسلامه أن يتحرك لاكتشاف قوانين الحياة

«فاقتباس مااستحسن من أمور اليهود والنصارى التي تقدموا فيها من وسائل حضارية لاتدخل ضمن النهي القرآني..﴿يآيها الذين آمنوا،لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾.....(1)

والإستفادة منها لإقامة الحضارة وبناء التقدم،فموقف الأستاذ النورسي يتلخص في أنه دعا المسلمين إلى الأخذ بأسباب الحضارات الصناعية،لأنها من ضرورات إقامة الحياة القوية.

ويذهب الأستاذ إلى أن مجيء الحضارة من الغرب وأهله غير مسلمين لايكون دليلا على حرمة الأخذ بها يقول:

* *

رأيه في الإجتهاد

أما موقف النورسي من حركة الإجتهاد فقد كان رد فعل عنيف لحركة التغريب التي أرادت أن تصبغ المجتمع الإسلامي التركي بصبغة الحياة الأوربية جملة وتفصيلا،فرأى أن الدعوة إلى الإجتهاد في مثل هذا الجو الذي لم يبق لضوابط الإسلام فيه أية قيمة،أمر لامعنى له،إن أي نوع من أنواع الإجتهاد سيجري في داخل ضوابط الحياة الغربية الحديثة،إن من المنطقي أن كل فلسفة لها أسسها وقواعدها،ومعالجة أية قضية تتفرع منه لايمكن أن تتم إلا في إطارها،لقد رأى النورسي أن بعض العلماء الذين لايحملون أي شرط من شروط الإجتهاد،يسوغون كل التطورات غير الدينية التي جرت في تركيا باسم الإجتهاد..

إن النورسي مؤمن بأن باب الإجتهاد مفتوح،ولكنه يعتقد أن هناك موانع تحول دون الدخول إليه في الوقت الحاضر.

أولها: إن فتح أبواب جديدة في قصر الإسلام المنيف، أو فتح الثغرات التي هي وسيلة لتسلل المخربين، وبالأخص في زمن المنكرات الذي غلبت عليه العادات الأجنبية والبدع، وفي عصر تخريبات الضلالة الرهيبة، فإنه جناية في حق الإسلام.

ثانيها: إن الإنشغال بتقوية أصول الأيمان، وماهو قطعي وثابت، بالنصوص التي تعرضت إلى التشكيك والتخريب أفضل من الإنشغال بأمور نظرية جزئية، لأن العقائد الإسلامية وأصولها التشريعية غدت في خطر كبير، فما فائدة الحديث عن الفروع؟!

ثالثها: إن تحكم الفلسفة المادية ومظاهر الحضارة الغربية في حياة المسلمين اليوم أقحمتهم في هذه الحياة الدنيا وانستهم رضى الله سبحانه وتعالى، وبذلك فإن الإجتهاد في مثل هذا الجو لايكون مبنيا إلا على أسس بعيدة عن الورع والتقوى.

★★

موقفه من السياسة

بدأ النورسي عمله الإسلامي عن طريق الإشتغال بالسياسة ثم تركها وطلقها واعتبرها من عمل الشيطان وانتهى إلى التربية والتكوين.

في المرحلة الثانية من عمله الإسلامي والتي كان يعبر عنها بـ«سعيد الجديد» كان الأستاذ بديع الزمان النورسي يردد قولته المشهورة:

«أعوذ بالله من الشيطان والسياسة» واتخذها قاعدة يسير عليها.

وكثيرون التبس عليهم الأمر في هذه القاعدة السديدة التي كانت له ولجماعته صمام أمن فكري وقلبي وعملي، ولاسيما في تلك الظروف الدقيقة العصيبة مابين (1926م-1950م) حتى نشأت الجماعة-جماعة النور-وقويت واشتدّ عودها حيث لم يسمح لطالب النور في هذه الفترة قراءة الجريدة اليومية، وظهرت حكمة هذا الرجل الذكي الصالح في ذلك بعد كشف النقاب في الأيام الأخيرة بأن أجهزة الثقافة والإعلام كانت ولاتزال تدار بأيدي عملاء اليهود والدونمة.

إلا أننا نرى فيما بعد 1950م أن الأستاذ النورسي كان يتتبع بنفسه الأخبار السياسية يوميا ويخصص أحد تلاميذه لقراءة الجرائد

اليومية له؛وحث جماعته للاقتراع لصالح الحزب المعارض-الديمقراطي حينئذ-بل شارك بنفسه سنة 1957م في الإقتراع.

ولقد اتخذ النورسي لنفسه هذه القاعدة بعد أن سبر غور السياسة عشرات السنوات،حتى استقر لديه أنه لايمكن العمل للإسلام في تلك الظروف بالدخول في متاهات السياسة.

فياترى،كم من الناس من نجا-بإخلاصه-بعد ان خاض غمار السياسة وولج في متاهاتها؟!

فالمطلع على رسائل النور يرى أن السياسة وأبعادها موجودة بوضوح بالغ حيث إن الأستاذ النورسي قد ضمن كل تلك الأمور في ثنايا رسائل النور وخاصة في كتابه المسمى بـ«ملحق قسطموني» وكتابه المسمى بـ«ملحق أميرداغ» ورسالتي«المناظرات»و«السنوحات».

وثمة دليل آخر نضيفه هنا وهو ما أصدره طلاب النور من كتب تبحث عن مفاهيم سياسية دقيقة وموازينها الصائبة في ظروف مختلفة،منها:«سعيد النورسي وفلسفة الدولة»،«موازين في السياسة»و«قواعد سياسية عند النورسي»..وغيرها كثير.

هذا ولو سألنا أنفسنا ماهي السياسة التي استعاذ منها النورسي؟ومتى قال هذا الكلام ولماذا قاله؟

إذا فهمنا كل ذلك مع الظروف المحيطة بها..يمكننا أن نحل اللغز!

أساس دعوته

اعتمد النورسي على أساسين مهمين في دعوته.

أولا:تقوية الإيمان والتطهير الروحي.

لاحظ النورسي وهو الذي عاصر أخطر فترة إنتقالية في حياة المسلمين،وهي نهاية القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر،أن المجتمع الإسلامي ينحدر في مظاهر حياته كلها إنحدارا سريعا؛واكتشف أن غزوا فكريا منظما يشن على العقيدة الإسلامية إبتداء من الدوائر الأجنبية إلى صحافة الإتحاد والترقي وأجهزة إعلام الإنقلابات الكمالية.

لقد تأكد النورسي أن الإسلام أصبح في خطر أكيد وأنه لابد من تقوية الإيمان بل إنقاذه أمام هذه الموجات العاتية من تزييف المنطلق العقلي والحقيقة العلمية.

ولقد ساعدته دراساته العقلية الرصينة واطلاعه الواسع على تطور العلم الحديث في محاولة ذلك الإنقاذ، بدأ بتأليف الرسائل والكتب في مناقشة شبهات القوم وإثبات حقائق الإيمان بأسلوب علمي عصري قريب إلى روح العصر،وفهم الناس جميعا.

وكان يتتبع الشبهات التي كان يثيرها الملاحدة وأعداء الأمة،وذلك لأدخال الشك في عقول الجيل الحديث،فيرد عليها ويخصص لها الرسائل المتنوعة دون ذكر الشبهة إلا نادرًا،ومن هنا فإننا نرى أن كتابات النورسي تمثل الصراع الفكري في عصره تمثيلا تاما،وتضع الأسس الفكرية لتنشئة جيل مؤمن يعرف كيف يتعامل مع العصر،ولقد أكد النورسي في كتاباته على القضايا العقيدية الكبرى الثلاث:وجود الله ووحدانيته،والنبوة العامة والخاصة،واليوم الآخر وما يتعلق به من أمور غيبية.

ثانيا: طريقة مثلى للمحافظة على الإسلام في تركيا:

رأى النورسي بأم عينيه أن حربا ماكرة تشن من قبل الدوائر المادية والإستعمارية على الإسلام،تريد النيل من عقيدته وتقتلع جذوره من نفوس المسلمين وعقولهم،فاقتنع أن علم الكلام القديم المبني على مقدمات عقلية مركبة معقدة، سار في طريق طويل جدًّا،غير مأمون العاقبة في هذا العصرخاصة،ولذلك فإنه حاول أن يخطط لعلم كلام جديد مبني على القرآن الكريم،يستقى منه مباشرة دون الخوض في مصطلحات عقلية غامضة،ذلك لأن القرآن عرض الأدلة العقلية الفطرية في إثبات حقائق الوجود،قائمة على براهين عقلية منطقية واضحة جدًّا،ولكنها لإيجازها البليغ قد تخفى على بعض الناس.

ومن هنا فإنه حشد معارف عصره العقلية والعلمية لتوسيع مداليل الأدلة القرآنية بطريقة عصرية وأسلوب حديث خلط فيه العقل بالعاطفة حتى يحدث تأثيره المطلوب في الجيل الجديد،وعلى ذلك فقد أوجد النورسي«علم كلام قرآني» بمعنى هذه الكلمة كله، فكان ذلك سببا مهما في نجاحه العظيم في المحافظة على العقائد الإسلامية السليمة وتركيزها في قلوب الناشئة ورد الشبهات المعاصرة بالمنطق العقلي القرآني الواضح.

لقد كان سلاحه في ذلك كله هضمه لحقائق القرآن الكريم،وذكاؤه الحاد في التأمل العميق في مشاهد الكون،واستخراج الأمثال واللفتات التي تثبت وتوضح الدليل القرآني فتدخله إلى العقول والقلوب معًا.

استطاع النورسي أن ينقل علم التوحيد من نظريات فكرية مجردة يفهمها الخاصة إيمانا عقليا مجرّدا إلى سلوك في الحياة ينفعل به العقل،ويثير العاطفة،ويتحول إلى ممارسة يومية يحدد خط السير المستقيم للإنسان المسلم،ويحول بينه وبين الوقوع في الحرام.

إن علم الكلام أستطاع في فترات الجدال العقلي بين الخاصة أن ينقذ الإيمان العقلي،ولكنه لم يستطع أن يصوغ حياة المسلم صياغة ربانية تحقق المعنى الحقيقي لعبودية الإنسان لرب العالمين،أي أن علم الكلام لتأثره الواضح بالمنهج الفلسفي الجاف لم يستطع أن يتحول

إلى مدرسة للتربية الإجتماعية.لذلك نرى ان مجرد إيمان المسلمين بالله لم يستطع أن يتحول إلى مدرسة للتربية الإجتماعية،لذلك نرى أن مجرد إيمان المسلمين بالله لم يستطع أن ينقذ سلوكهم في العصور الأخيرة من الكارثة الكبرى التي أدت إلى انحدارهم وفقدان حقائق التوجيه من حياتهم.

إن النورسي استطاع أن يحدد المرض الخطير في جسم الأمة،ثم عالجها معالجة قرآنية فحوّل التوحيد الى حياة مفعمة بمعاني الإخلاص والإستقامة والتضحية والسلوك وحصّن تلامذته والجيل الجديد بقاعدة إيمانية صلبة الحقت الهزيمة ببيئات كثيرة بالمذاهب المادية والأفكار الإباحية التي كانت تريد تحريف الإنسان المسلم عن خط سيره الذي رسمه له القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.(3)

* *

آثــــاره

اشتهر سعيد النورسي بتأليف رسائل في موضوعات العقائد الإسلامية سماها«رسائل النور»ومن المؤكد أن ثقافة النورسي الواسعة وهضمه المعارف الإنسانية في عصره وذكاءَه الحاد،وقدرته على التأمل العميق،هو الذي حدد الطريق أمامه لإملاء تلك الرسائل التي استلهمها من القرآن الكريم مباشرة،دون أن توجد عنده المصادر العلمية التي يعتمد عليها،لأنه كان في سجن وتشريد ونفي مستمر.

ويمكن ذكر مجموع مؤلفاته على النحو التالي:

أولا:رسائل النور:-ويتجاوز عدد هذه الرسائل مائة وثلاثين رسالة باللغة التركية وهي موزعة على الوجه التالي:

1-المقالات (سوزلر) وهي 33 رسالة(مقالة) في 250صفحة.

2-المكتوبات:وتضم 33 مكتوبا في 450صفحة.

3-اللمعات:وتضم 33 لمعة في 430 صفحة

4-الشعاعات:وتضم 15 شعاعا في 640 صفحة.

5-لواحق المكتوبات:وهذه في ثلاثة أجزاء

لاحقة بارلا

لاحقة قسطموني:في 204 صفحة

لاحقة أميرداغ: في جزئين في 504 صفحة.

ثانيا:المؤلفات التي كتبها باللغة العربية وهي:15 رسالة أهمها:

1-إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز:وهو تفسير شيق للقرآن الكريم يحوي الكثير من التخريجات اللطيفة.

2-المثنوي العربي:يحتوي على عدة رسائل في العقيدة والتفسير والتربية والأخلاق والعلوم المختلفة(ويسمى أيضا بالمثنوي النوري)

3-الصيقل الإسلامي:وهو محاولات في حل كثير من المشكلات التي تعترض طريق الدعاة إلى الله.

4-التفكير الإيماني:وهو كتاب معرفة ومناجاة وتفكر وعبادة .

5-ذو الفقار:وهو يبحث في المعجزات القرآنية ومعجزات الرسول ﷺ.

6-رائد الشباب:وهو يعالج العديد من مشاكل الشباب المعاصر.

ثالثا:سلسلة كتب صغيرة،وهي رسائل أخرى مستقلة منها:

1-المدخل إلى عالم النور

2-مفتاح النور

3-المحاكمات.

4-ترجمة حياة

5-عصا موسى

6-الخطبة الشامية.

7-وصفة للعوام.

رابعا:الرسائل الخفية:وأطلقنا عليها هذا الإسم نظرًا لأنها كانت سرية تتداول بين طلاب النور،ثم كشفت وطبع بعضها في مجلد مستقل في 220 صفحة،بعنوان:«ختم التصديق الغيبي»،وهي تتناول مسائل إسلامية دقيقة،أو تتناول جوانبا في الدعوة إلى الله لتثبيت تلامذته.

وقد سأله بعضهم عن سبب تأليفه كتبا ورسائلا تتناول مواضيعا لم يكن للناس بها عهد!!فقال:

إن مصنفات أغلبّ العلماء السابقين، والكتب القديمة للصالحين،تبحث عن ثمار الإيمان ونتائجه،وفيوضات معرفة الله سبحانه وتعالى،ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحد واضح،ولا هجوم سافر لجذور الإيمان وأسسه،اذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة .؟

أما الآن فإن هناك هجومًا جماعيا منظما عنيفا على أركان الإيمان وجذوره،لاتستطيع تلك الكتب التي كانت تخاطب المؤمنين فحسب أن تقف أمام هذا التيار القوي،ولا أن تقاومه وتصده»·

أما رسائل النور فإنها تقوم بإنقاذ الإيمان واثباته بإقامة البراهين الساطعة والدلائل العدة لإثباته·

ولقد صدق من وصف رسائل النور بأنها:«تنور هذا العصر والذي يليه،وتخاطب الإنسانية قاطبة بحقائق القرآن الكريم فتستجيب لكافة حاجات الإيمان والإسلام والفكر والروح والقلب والعقل بما يشبع كلا منها»·

ويلخص النورسي هدف رسائله بأنه:

«كتاب شريعة وعقائد،وكتاب دعاء وحكمة،وكتاب عبودية ودعوة،وكتاب حقيقة وتصوف،وكتاب منطق وعلم كلام،وكتاب حث على العمل وإلجام للمعارضين وإسكات لهم»·

والجدير بالذكر أن تأليف هذه الرسائل جميعها استغرق الوقت من سنة 1926م إلى 1950م.

والمدقق في رسائل النور يستطيع بكل وضوح أن يعتبرها تفسيرًا للقرآن الكريم،ولكنه ليس من نوع تفسير الألفاظ والتراكيب.وإنما من نوع إثبات حقائق ومعاني الآية الكريمة بتوضيح وبيان تلك الحقائق·

وأما أسلوب هذه الرسائل فنراه لينا رقيقا جدًا،حتى نكاد نشعر أنه همسات قلب،أو أنفاس رقيقة،ونراه أحيانا أخرى أسلوبا علميا دقيقا ذا عبارات منطقية فطرية تستدعي تركيبا فكريا،وينقلب الأسلوب في حالة الدفاع أمام المحاكم إلى أسلوب قوي هادر كالأمواج المتلاطمة.**ومن مزايا رسائل النور:**

1-الأسلوب الأدبي الرفيع غير المتكلف مع الإيجاز دون الإطناب·

2-ضرب الأمثال بكثرة تلفت النظر وذلك لتقريب المفاهيم الإيمانية إلى الأذهان·

3-التركيز على معاني الأسماء الحسنى وإظهار تجلياتها على جميع الموجودات وحل كثير من المعضلات على نورها·

4-رد الشبهات عن الإسلام دون ذكر الشبهة نفسها·

5-إيراد الأمثلة الواقعية والعمية المبسطة بحيث يفهمها الجميع

فكل هذه الرسائل تتناول الجواب عن مختلف المشكلات الروحية والنفسية والعقلية التي تطوف بأذهان الجيل الحاضر،وهي تنطلق من محور القرآن وتفسيره.إذ يتناول بديع الزمان الآية بالتفسير

مرتين: يعرض في الأولى المعنى الظاهري لها، ثم يحلل في المرة الثانية على ضوئها دلائل الإيمان، ويكشف مافيها من أسرار كونية ورموز تتعلق بهذا العصر ودوره الحضاري، وكان يملىء أفكاره في حالة وجدانية متأثرة، على حين يسجل تلاميذه من حوله مايقول في عجلة وضبط.

★★

جماعة النور

نشأت جماعة النور كما أسلفنا في المنطقة الكردية شرقي الأناضول، وامتدت إلى أرض روم واسبارطة وغيرها، وبانتقال النورسي إلى اسطنبول انتقلت دعوته اليها، ولقيت رواجا ظاهرا وكبيرا.. وعلى باب البيت الذي أقام فيه النورسي في اسطنبول كتبت العبارة التالية: «هنا تحل المشاكل ويجاب على كل الأسئلة».

والأصول التي تركز عليها الجماعة في دعوتها إلى الإسلام مستقاة -كما أسلفنا كذلك- من كتب مؤسسها التي يدور معظمها حول التوحيد والإيمان والقرآن والحشر ودفع الشبهات التي تحوم حول الإيمان.

إن طلاب رسائل النور تشربت أرواحهم بنور الإيمان وارتوت من فيض القرآن بدراسة هذه الرسائل الشهيرة الى درجة جعلتهم يعيشون الأخوة الإسلامية في أرقى صورها.

وما أجمل ما قال أحد طلاب النور عندما سئل عن هذا وعن الإختلاف فقال:

«نحن نختلف إلا أننا لانفترق أبدًا»، وهذا أمر غريب جدًّا عن

مجتمعاتنا حيث إن الخارج عن صف الجماعة يكون منبوذاً بعكس ماهو عليه في صفوف جماعة النور،إذ أنهم يقولون أنه:«أخ مؤمن إلا أنه لايتمكن في الوقت الحاضر من الأخذ بالعزائم التي افترضناها على أنفسنا،فهو داخل في دائنا أيضا».

وبهذه الأخوة والتكاتف استطاعت جذور الجماعة أن تمتد في أعماق تركيا اذ لاترى مدينة ولا قصبة بل وقرية إلاّ وهم يعملون كالنحل ليل نهار في خدمة القرآن.

إن الذين انهدمت الخلافة العثمانية على رؤوسهم،وحملوا راية الإسلام على كاهلهم في تلك العصور المظلمة،لقادرون فعلا على مواجهة الغزو الحضاري مهما كانت أشكاله.

ولا تزال جماعة النور إلى اليوم قوية تنتشر في كل مكان من تركيا فتبدد ظلام الكمالية والجاهلية..ويقدر المراقبون عدد أفرادها بين ستمائة ألف ومليون شخص في بداية أمرها أما اليوم فقد بلغ هذا العدد الملايين.

وقد وضع مجموعة من أساتذة الجامعات التركية تقريرا رفعوه إلى الحكومة التركية بناء على طلبها وذلك حين قدمت جماعة النور إلى المحاكم-في المرة الأخيرة-وكان التكليف رغبة من الحكومة لمعرفة طبيعة هذه الجماعة وكان من اللجنة ثلاثة كبار الأساتذة هم البروفسور حميد طويجو أوظو والبروفسور فاروق رام والبروفسو

«هي دعوة شاملة لعموم المسلمين تدعوهم ليغيروا تفكيرهم حتى يطابق التفكير الإسلامي،وهم يدعون الناس إلى تفهم القرآن الكريم وأن يتخلقوا بأخلاق الإسلام،وحين تصبح عقولهم وقلوبهم مطابقة لتعاليم الإسلام يدعون يومها طلبة النور.

«وهم جماعة متساندة متعاونة تحاول درأ أي خطر قد يمس جماعتهم.والخلاصة:هي جماعة رائدها الإخلاص متمسكة بحبل الله المتين،مستعدة للجهاد في سبيل الله وفي سبيل إقامة شرع الله في الأرض..وفي سبيل إقامة وحدة إسلامية مع البلدان الإسلامية عامة والعرب بصورة خاصة.

«وهم ليسوا من أولئك الذين يؤمنون بترك نعم الحياة وينفرون من العمل في السياسة والإكتفاء بالحياة الآخرة دون الحياة الدنيا ويتبعون لذلك الإنزواء البعيد عن الحياة.

كلا:فهم ليسوا من هؤلاء المنعزلين في سبيل الوصول إلى الهدف ولكنهم جماعة يحبون العمل والحركة ويستعدون لإعلان الجهاد المقدس في سبيل اعلاء كلمة الله في الأرض،ولذا فهم يحرصون عل

* *

تربية أفرادهم تربية روحيه وعقلية كاملة بحيث تصبح الشهادة في سبيل العقيدة مطلبهم الرئيسي.

«وحركة النور في تركيا..تعرف أن الأحكام الإسلامية وما يتصل بها من قوانين حقوقية خاصة بالدولة قد تركت واستبدلت الأحكام المدنية بها،وهي تعلن أنها تستنكر هذا الأمر.

«وهم لن يلجأوا إلى تغيير الأوضاع بالقوة ولكنهم سيمهدون لهذا التغيير بالأمور الدعوية المعنوية حتى يقوم الوعي وينتشر نور الإسلام في كل مكان..»

ويقول الأستاذ برنارد الوليس:

«حتى في تركيا..في المجتمع المتغرب العلماني المترفع:مجتمع الجمهورية الكمالية..كانت حركات دينية مكافحة تعارض الثورة الكمالية وكان على زعامتها الإخوة الدراويش،ولم يكونوا من العلماء»،لأنهم كانوا موظفين رسميين،في حياة كمال أتاتورك كانت الحركة النقشبندية رأس حربة المعارضة الدينية،إذ قاد عدد غير قليل من أفرادها ثورات مسلحة،وأهمها في المنطقة الجنوبية الشرقية سنة 1925م وفي مينيين سنة 1930م،أما حديثا فالحركة التيجانية والحركة النورية هما اللتان تبشران وتدعوان إلى مناهضة الثورة الكمالية...»(5)

ويقول الأستاذ عبد الله الخالدي:

«ففي منتصف القرن الماضي نشأت في الدولة العثمانية حركات نشات جاغاتاي،وقد نشرت تعريب هذا التقرير مجلة الشهاب اللبنانية،العدد الخامس السنة الأولى،سنة1967م وقد جاء في هذا التقرير:

علمانيه موية بين طبقات المثقفين بالثقافة الأوربية من المدنيين والعسكريين تدعو إلى تجديد بناء الدولة العثمانية على أسس أوربية محضة،ونجحت هذه الحركات بعد محاولات كثيرة في الإستيلاء على الحكم وأنشأت جمهوريه حديثة على اسس علمانية تلتزم بالأحكام القانونية الغربية وتنبذ أحكام الشريعة،ثم تابعت محاولتها لفصل شعب تركيا المسلم عن سائر الشعوب الإسلامية الشقيقة وعلى لأخص الشعوب العربية.

«ولكن شعب تركيا الشجاع لم يستسلم لهذه الفتنة الجديدة بل راح يقاومها بكل ما أوتي من قوة،وقامت حركات شعبية إسلامية تبين أصالة الشعب التركي في تعلقه بالإسلام دينا وشريعة وبالأخوة الإسلامية مع الشعوب العربية.

«وكان من أهم تلك الحركات وأغزرها فكرًا وأعمقها أثرا تلك الحركة التي قام بها العلامة الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي وتلامذته-طلاب رسائل النور-فكشف عن دقائق الإسلام الخالدة من جديد.وأعاد إلى الأجيال الناشئة ثقتها بتاريخها وجهادها ونجح في بلورة تعاليم الإسلام وبين مزايا شريعته الخالدة للشباب المتوثب في تركيا،وأخذ يكتب عددا من الرسائل الإسلامية تحت عنوان«سلسلة رسائل النور»(6)

لقد مات أتاتورك مصطفى كمال وأتباع بديع الزمان يكثرون ويزيدون،يقول الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي :

«حينما توفي بديع الزمان كان أتباعه يطرقون أبواب الحكم في تركيا من جميع أطرافه،ورغم أن أمريكا تداركت الأمر فقلبت الأوضاع وعملت على وضع الحكم من جديد في أيدي«الكماليين»فإن أتباع بديع الزمان والأمناء على عهده وجهاده هم الذين يجمعون أمرهم اليوم للثورة»(7)

بعد وفاة النورسي بشهر قامت حوادث ومظاهرات في تركيا تلاها إنقلاب عسكري أبعد فيه«الحزب الديمقراطي»عن الحكم واستلم الجيش مقاليد السلطة.

ثم جرت بعد ذلك إنتخابات عامة واستلم الحكم مدنيون من «حزب العدالة» الذي هو إستمرار للحزب الديمقراطي.

وقد شهدت تركيا خلال الستينات والسبعينات أنماطا جديدة وماكرة من الغزو الفكري والنفسي..ولقد تفنن أعداء الإسلام في حربهم إياه،ضمن محاولات متلاحقة لقطع كل صلة للمجتمع التركي بالإسلام..

ومع أن الفترة 1960-1970م كانت هي الفترة المهمة في حياة جماعة النور إلاّ أننا لانملك المصادر والمراجع التي تحدد مواقفهم والشيء الوحيد الذي نعلمه هو أن هذه الجماعة نذرت نفسها للعمل

الإسلامي إلى حد الجود بالروح والحياة في سبيل هذا الدين،فصار لها اليوم إمكانيات مادية ضخمة،وجريدة يومية إسمها«آسيا الجديدة».

وربما نكون معذورين حين نقول في اعتراف صادق أنه يصعب علينا تحديد مواصفاتها وسياستها ومواقعها بدقة في مثل هذا البحث البسيط.

* *

مقتطفات من آثاره

ضربة على رأس الغفلة

لسم الله الرحمن الرحيم:«وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»

يانفسي..أيتها السادرة في الغفلة..يامن ترين هذه الحياة حلوة لذيذة فتطلبين الدنيا وتنسين الآخرة،هل تدرين بماذا تتشبهين؟

إنك تتشبهين النعامة...تلك التي إذا رأت الصياد فلا تطير،بل تقحم رأسها في الرمال تاركة جسمها الضخم في الخارج ظنا منها أن الصياد لايراها.إلا أن الصياد يرى،ولكنها وحدها التي أطبقت جفنيها تحت الرمال فلم تعد ترى.

فيانفسي..أنظري إلى هذا المثال وتأملي وابصري،كيف أن حصر النظر كله في الدنيا يحول لذة حلوة الى ألم مرير...

هب أنه في هذه القرية(8)رجلان إثنان:

أما أحدهمافقد رحل تسعة وتسعون بالمائة من احبته إلىاسطنبول وهم يعيشون هناك عيشة طيبة جميلة،ولم يبق منهم هنا سوى شخص واحد فقط وهو أيضا في طريق الإلتحاق بهم،لذا فإن هذا الرجل مشتاق إلى اسطنبول أشد الإشتياق بل يفكر بها ويرغب أن يلتقى يالأحباب دائما.

فلو قيل له في أيّا وقت من الأوقات«هيا أذهب إلى هناك فإنه سيذهب فرحا باسما.

أما الرجل الثاني،فقد رحل من أحبته تسعة وتسعون بالمائة،فيظن أنه فنى بعضهم،ومنهم من انزوى في أماكن لايرون،فهلكوا وتفرقوا حسب ظنه.

فهذا الرجل المسكين،ذو الداء العضال،يبحث عن أنيس وعن سلوان حتى في سائح واحد،بدلا عن أولئك جميعا،وبه يريد أن يغطي على ألم الفراق.

فيا نفسي:إن أحبتك كلهم،وعلى رأسهم وفي مقدمتهم«حبيب الله»ﷺ هم الآن في الطرف الآخر من القبر،فلم يبق هنا إلا واحد أو إثنان وهم أيضا متأهبون للرحيل.

فلا تدسن رأسك جَفِلَةً من الموت،خائفة من القبر،بل حدقي في القبر وانظري إلى حفرته بشهامة واستمعي إلى ماتطلب«أي الموت»وابتسمي بوجه الموت برجولة،وانظري ماذا يريد؟

وإياك أن تغفلي فتكوني أشبه بالرجل الثاني....

يانفسي:لاتقولي أبدًا أن الزمان قد تغير،وأن الزمان قد تبدل،وأن الناس قد انغمسوا في الدنيا وافتتنوا بحياتها،فهم سكارى بهموم العيش؛ذلك لأن الموت لايتغير،وأن الفراق لاينقلب إلى البقاء فلا يتغير أيضا،وأن العجز الإنساني والفقر البشري هما أيضا لايتغيران،بل يزدادان،وأن رحلة البشرية لاتنقطع بل تحثُّ السيْر وتمضي.

ثم لاتقولي كذلك:«أنا مثل كل الناس»؛ذلك لأن كل واحد من الناس لن يصاحبك إلا إلى عتبة باب القبر..لاغير.

ولو ذهبت تنشدين السلوان فيما يقال من مشاركة الآخرين معك في المعصية ومعيتهم لك،فإن هذا أيضا لاحقيقة له ولا أساس مطلقا.

ولاتظني نفسك ساحرة مفلوتة الزمام، ذلك لأنك إذا مانظرت الى دار الضيافة،ضيافة الدنيا،نظرة الحكمة والروية،فلن تجدي شيئا بلا نظام ولا غاية،فكيف إذن تبقين أنت وحدك بلا نظام ولا غاية؟!

فحتى الوقائع الشبيهة بالزلزال والحوادث الكونية ليست هي العوبة بيد الصدفة،فمثلا:في الوقت الذي تشاهد فيه بأن الأرض قد ألبست حللاً مزركشة بعضها فوق بعض من أنواع النباتات

والحيوانات في منتهى النظام وفي غاية النقش والجمال،وتراها مجهزة كلها من قمة الرأس إلى أخمص القدم بالحكم،ومزينة بالغايات،وفي الوقت الذي تعلمين أن الأرض تدور بما يشبه جذبة حب وشوق،مولية بكمال الدقة والنظام ضمن غايات سامية.

ففي الوقت الذي تشهدين من هذا وتعلمين ذاك،فكيف يسوغ إذن أن تكون الزلزلة الشبيهة بثني عطف كرة الأرض،المظهر عدم رضاها عن التضييقات المعنوية وثقلها الناشيء من أعمال البشر،ولاسيا أهل الإيمان منهم،كيف يمكن أن تكون مجرد صدفة،مرتكبا بذلك خطأ فاحشا ومقترفا ظلما قبيحا،إذ صير جميع مافقده المصابون من أموال وأرواح هباء منثورًا،قاذفا بهم في يأس اليم،والحال أن مثل هذه الحوادث تبقى دائما أموال أهل الإيمان محولة إياها-بأمر الحكيم العليم-إلى صدقة لهم،وهي كفارة للذنوب الناشئة من كفران النعم.

فلسوف يأتي ذلك اليوم الذي تجد الأرض المسخرة وجهها دمية قبيحة بما لطخت زينتها بالشرك ولوثت بالكفران من أعمال البشر،فتمسح عندئذ وجهها بزلزلة عظيمة بأمر الخالق،وتطهره مفرغة أهل الشرك-بأمر الله- في جهنم،وداعية أهل الشكر:«هيا تفضلوا إلى الجنة».

حوار خوارق العلم الحديث

مع القرآن الكريم

إذا قلت: لما كان القرآن الكريم نزل لأجل الإنسان، فلم لا يصرّح بما هو المهم في نظره من خوارق المدنية الحاضرة، وإنما يكتفي برمز فقط مستتر وربّما خفيّ، وإشارة خفيفة وتنبيه ضعيف فحسب؟

فالجواب: إن خوارق المدنية البشرية لاتستحق أكثر من هذا القدر، إذ أن الوظيفة الأساسية للقرآن هي تعليم شؤون الربوبية وكمالاتها، ووظائف العبودية وأحوالها.

لذا فإن حق تلك الخوارق البشرية وحصتها من تلك الدائرتين لاينال إلا مجرد رمز ضعيف وإشارة خفيفة.. فإن ادعت حقها وطلبتها من دائرة الربوبية، فعندها لن تحصل على حظها، إلا بحق ضئيل جدًّا.

فمثلا إذا طلبت الطائرة البشرية القرآن الكريم قائلة:

«أعطني حقا للكلام، وموقعا بين آياتك...».

فلا بد من أن طائرات «الربوبية» التي هي الكواكب السيارة والقمر والأرض ستقول بلسان القرآن الكريم:

«إنك تستطيعين أن تأخذي مكانك هنا بمقدار جرمك، لا أكثر».

وإذا أرادت الغواصة البشرية موقعا لنفسها بين الآيات الكريمة، فإن غواصات تلك الدائرة «الأرض السابحة في محيط الهواء، والنجوم العائمة في بحر الأثير..» تتصدى لها قائلة:

«إن مكانك بيننا ضئيل يكاد لايرى».

وإذا أرادت الكهرباء أن تدخل حرم الآيات بمصابيحها اللامعة أمثال النجوم، فإن مصابيح تلك الدائرة، التي هي: الشموس والسحب والأنجم المزينة لوجه السماء، سترد عليها قائلة:

«إنك تستطيعين أن تدخلي معنا في البحث بقدر ما تملكين من الضوء».

وإذا طالبت الخوارق الحضارية -بلسان صناعاتها الدقيقة- بحقوقها، وأرادت لها مكانًا بين الآيات.. عندها ستصرخ ذبابة واحدة بوجهها قائلة:

«أسكتوا.. فليس لكم الحق ولو بمقدار أحد جناحيّ هذين. ولئن اجتمع كل مافيكم من المصنوعات والإختراعات التي اكتشفت اكتسابا بإرادة الإنسان الجزئية، مع جميع الآلات الدقيقة لديكم، فلن تكون أعجب بمقدار ما في جسمي الصغير من لطائف الأجهزة، ودقائق الصنعة وأن هذه الآيات الكريمة ستبهتكم جميعا...

﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا

له.وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه،ضعف الطالب والمطلوب﴾.(1)

وإذا ذهبت تلك الخوارق إلى«دائرة العبودية»وطالبت منها حقها،فلا بد أنها ستتلقى منها هذا الجواب:

إن علاقتكم أنتم واهية قليلة جدًا،فلا يمكن إذن أن تدخلوا دائرتنا بسهولة،لأن منهجنا هو:إن الدنيا دار ضيافة،وأن الإنسان يلبث فيها قليلا،وهو مكلف بتحضير وتجهيز مايحتاجه لحياته الأبدية الخالدة في هذا العمر القصير مع وظائفه الكثيرة العابرة فيها،... لذلك وجب عليه ماهو الأهم والألزم.

إلا أننا نرى-على إعتبار الأغلبية-أن صور عبادة الدنيا المتقلبة الزائلة تظهر عليكم،وكأنكم اتخذتم هذه الدنيا-تحت ستار الغفلة واللهو-دارًا للبقاء ومستقرًا أبديًا.

لذا فإن حظكم من العبودية ودائرتها المؤسسة على هدى الحق،والتفكير في آثار الآخرة قليل جدًا.

ولكن...إن كان فيكم-أو من ورائكم -من الصناع المهرة والمخترعين الملهمين وهم قلة وكانوا يقومون بأعمالهم-مخلصين-من أجل منافع عباد الله وهي عبادة ثمينة ويبذلون جهدهم للصالح العام ورقي الحياة الإجتماعية وكما لها،فإن تلك الرموز والإرشادات القرآنية

كافية لاريب لأولئك المرهفي الإحساس،ووافية لتقدير مهاراتهم وتشويقهم إلى السعي والإجتهاد.

ولعلك تقول:لم تبق لديَّ الآن شبهة-بعد هذا التحقيق-فقد ثبت عندي بيقين،وصدّقتُ أن القرآن الكريم فيه جميع مايلزم السعادة الدنوية والأخروية،كلٌّ حسب قيمته وأهميته،فهناك رمز وإشارة لخوارق المدنية الحاضرة،بل وإلى أبعد منها من الحقائق الأخرى.

ولكن لم يذكر القرآن تلك الخوارق بصراحة تامة تجبر الكافرين العنيدين على التصديق والإيمان،وتطمئن قلوبنا فنستريح؟..

الجواب هو: إن الدين امتحان،وإن التكاليف الإلهية تجربة من أجل أن تتسابق الأرواح العالية والأرواح السافلة،وتتميز عن بعضها في حلبة السباق،نعم أنه مثلما يختبر المعدن بالنار ليتميز الماس من الفحم والذهب من التراب،كذلك فإن التكاليف الربانية في دار الإمتحان هذه..إبتلاء وتجربة وسوق للمسابقة حتى تتميز الجواهر النفسية لمعدن الفطرة من المعادن الخسيسة.

فمادام القرآن قد نزل-في دار الإمتحان هذه -بصورة إختبار للإنسان وليتم تكامله في ميدان المسابقة فلا بد أن سيشير-إشارة فحسب-إلى هذه الأمور الدنيوية الغيبية التي ستتوضح في المستقبل للجميع،فاتحًا للعقل بابًا بقدار إقامة حجته.

. والإلا فلو ذكرها القرآن الكريم صراحة،كان مما يخل بحكمة التكليف فتصبح بديهية مثل كتابة «لاإله إلاّ الله» واضحا بالنجوم على وجه السماء،والذي يجعل الناس-أرادوا أم لم يريدوا-عندئذ مرغمين على التصديق،ومن ثمّ فما كانت مسابقة ولا إمتحان،إذن ولا تمييز.فحينئذ تتساوى الأرواح السافلة التي هي كالفحم مع التي هي كالماس،فكان أن يظهر أبو جهل اللعين مع أبي بكر الصديق في مستوى واحد،ولضاع التكليف.

والخلاصة،أن القرآن العظيم حكيم،يعطي لكل شيء قدره حسب مقامه،ويرى القرآن،من ثمرات الغيب،التقدم البشري الحضاري قبل ألف وثلاثمائة سنة، المستترة في ظلمات المستقبل أفضل وأوضح مما نراه نحن-وسنراها-لذا فالقرآن كلام من ينظر إلى كافة الأزمنة بما فيها من الأمور والأشياء في آن واحد...فتلك لمعة من الإعجاز القرآني،تلمع في وجه معجزات الأنبياء.

رادار كوني عجيب:

لقد خلق الله تعالى القلب،ووضعه في جوف إبن آدم ليكون أروع وأغرب«رادار» على صغره ودقته،ليلتقط إشارات الغيب لما وراء السماوات السبع ويسجل على لوحه الحساس نفحات الإلهام من جنبات الكون المتسع.

فالقلب السليم هو الذي يدور بفعالية مدهشة ،كالراصد النشيط يقلب وجهه في السماء العانية دائما ليلتقي منها روائع الإيمان والنور والجمال،ويترجمها بعد ذلك إلى صور ربانية أخاذة على واقع السلوك والتطبيق في عالم المعاملة الطيبة مع الله والنفس والكون والإنسان، على قواعد من واقعية مثالية لامثيل لها،وعلى ضوابط مثالية واقعية لامثيل لها ولا نظير لها كذلك،في توازن فريد منسق كأسماء الله الحسنى،وذلك سدرة المنتهى،منتهى الدنيا لمن يريد أن يواكب مسيرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في معارجهم إلى الله العلي الأعلى..لينال رضوانه وجنانه في ملكوت الخلود.

نور التوحيد

لقد تراءى لي قبس من أنوار الإسم الأعظم«الفرد»المتضمن للواحد والأحد من أسماء الله الحسنى وذلك في شهر شوال،سأورد بعضا من ذلك التجلي الأعظم وما فيه من التوحيد الحقيقي،وأحيل تفاصيله إلى الرسائل الأخرى.

أختام التوحيد

إن اسم الفرد جلّ وعلاَ،يتجلى بنوره على الكون قاطبة فيطبعه بطابع التوحيد المميز،ويختمه بخاتم الوحدانية،فيظهر شعار التوحيد وميْسمه على الكون كله،وعلى كل نوع فيه بل على كل جزء فيه.

وهنا سنكتفي بالإشارة إلى ثلاث إشعارات وأختام منها باختصار:

أولا:على وجه الكون

إن تجلّي إسم«الفرد»قد وضع على وجه الكون طابعًا مميزا للتوحيد،حيث جعل جميع أجزائه كلا واحدًا،لايمكن أن يقبل التجزئة؛فلا يمكن أن يكون أحد مالكًا حقيقيًّا لأي جزء منه ما لم تكن مقاليد الكون جميعه تحت تصرفه وفي قبضته،وهذا الطابع هو:

إن موجودات الكون كلها،بأنواعها المختلفة،تتعاون فيما بينها كتروس ودواليب معمل رائع يعمل بنظام دقيق جدًّا،فترابط أجزاؤها بعضها مع بعض ترابطا وثيقا،ويسعى كل جزء لتكملة الآخر..

فمثل هذا «التعاون» وهذا«التساند» وهذه«الإستجابة» وهذا السعي في المعاونة،واسعاف الآخرين،وهذا الترابط والإندماج..يشكل وحدة متحدة الأجزاء في الوجود كله،تماما كما في أعضاء جسم الإنسان التي لايمكن فك بعضها عن البعض لشدة ترابط الإندماج،فيما بينها،أي أن الذي يمسك زمام عنصر واحد في الوجود يلزم أن يكون زمام جميع العناصر بيده،وإلا فلا يمكنه السيطرة على ذلك العنصر الواحد.

وهكذا فإن ظاهرة«التعاون»و«التجاوب»و«التسديد» الجارية على وجه الكون بين جميع أجزائه هي أسطع شعار وختم التوحيد.

ثانيا:على وجه الأرض

إن آية جلية للتوحيد،وختما واضحًا للوحدانية نراها واضحة على وجه الأرض،بحيث أن الذي لايدير جميع الأحياء،بكافة أفرادها وشؤونها ولايعرفها،ولا يراها في آن واحد،لايمكنه أن يتدخل في أمر أي واحد منها.وهذا الطابع والختم هو أن ما ·لايعد من أنواع

الحيوانات والنباتات بأنواعها وأفرادها المختلفة والتي تزين نسيج الحياة على سطح الأرض-وخاصة في الربيع-مع إختلاف أشكالها،ووظائفها وأجهزتها وامتزاجها بعضها مع البعض،نرى أن رزق كل ذي حياة يأتيه رغدًا من كل مكان،دون سهو أو نسيان ولا ارتباك ولا انشغال ودون خطأ مطلقًا،فيعطي بميزان دقيق حساس كل مايحتاجه،وفي وقته المناسب وبدون تكلف ولا تكليف مع تميز لكل فرد من الأحياء في خضم هذا الإمتزاج الهائل.

كل هذا ظاهر جليّ لمن يتأمل وجه الأرض،فضلا عن المعادن والعناصر الجامدة في باطن الأرض التي تخبيء كل منها-هي الأخر- آيات التوحيد.

لذا فإن هذا«التدبير الحكيم»و«الإدارة الحاسمة» في هذا الأمر الدائب على الأرض هو ختم واضح،وطابع مميز للتوحيد،بحيث لم يكن خالقا لجميع الموجودات من العدم،ومدبرًا لكافة شؤونها في آن واحد،لايمكن أن يتدخل -من حيث الربوبية-في أي أمر فيها،ولو تدخل لأفسد؛لأن تلك الإدارة المتوازنة ستختل،ويبقى عمل الإنسان في الأرض هو خدمة ظاهرية-بأمر إلهي-لكشف تلك القوانين الربانية وحسن سيرها.

ثالثا:على وجه الإنسان

إن شعار التوحيد وختمه واضح لكل من يتأمل في وجه إنسان،ذلك أن لكلٍّ علامةً فارقة في وجهه تميزه عن غيره،فالذي وضع تلك العلامات كلها ينبغي أن يكون عالما،وشاهدًا لجميع الوجوه السابقة واللاحقة منذ آدم إلى يوم القيامة وإلا فلا يمكن أن يمد يده ليضع تلك الفوارق المميزة الهائلة في ذلك الوجه الصغير.

نعم،إن الذي وضع في وجه الإنسان ذاك الطابع المميز بتلك العلامات الفارقة هو الذي جعل كافة أفراد البشر تحت نظره وشهوده،وضمن دائرة علمه حيث أنه رغم التشابه الظاهر بين الأعضاء كالعيون والأنوف وغيرها فإنها لاتتشابه تشابها تاما بسبب تلك العلامات الفارقة بينها.

وكما أن تشابه الأعضاء في الوجه عند كافة أفراد البشر دليل قاطع على وحدانية الله سبحانه كذلك فإن العلامات الفارقة الموضوعة على كل وجه-لصيانة حقوق كل فرد في المجتمع،ولمنع الإلتباس وللتمييز ولحِكم أخرى كثيرة- هي الأخرى دليل على القدرة المطلقة والمشيئة الكاملة لذلك الخالق الواحد سبحانه.

أي أن الذي لايكون خالقا لجميع البشر-وكذلك الحيوانات والنباتات-بل لجميع الكون لايمكن أن يضيع تلك السمة المميزة في أحد.

ناموس واحد:

إن عوامل الكائنات المختلفة وعناصرها المتباينة قد اندمجت وتداخلت بعضها مع بعض،بحيث أن من لم يكن مالكًا لجميع الكون لايمكنه أن «يتصرف» بأي جزء أو بأي عنصر فيه تصرفًا كاملا،لأن نور التوحيد قد أضاء أرجاء الكون،فجعل كافة أرجاء الكون وكافة أجزائه وحدة متحدة،فغدا كل جزء منها يظهر،بل يعلن تلك الوحدانية،فمثلا:إن كافة ساكني الأرض من الأحياء يسقون بماء واحد ويسعى لخدمتهم هواء واحد،ويتنعم الجميع بمصدر ضوء واحد، وتنتشر نفس الأنواع من الحيوانات والنباتات على سطح الأرض وقوانين ونواميس أخرى كثيرة،مما يثبت أن المسكن وساكنيه هم ملك لمالك واحد أحد.

فقياسًا على تداخل واندماج الأنواع المختلفة في هذا الكون الواسع الشاسع الذي جعل مجموع الكائنات كلا واحدًا لاينفك عنه أي جزء من حيث الخلقة.يتقرر:أن الذي لاينفذ حكمه على جميع الكون لايمكنه أن ينفذه–من جهة الخلق والربوبية–على أي شيء فيه ولو كان ذرة أو أصغر.

البلسم الشافي:

كما أن انفراد الله سبحانه بالربوبية،وتوحيده بالألوهية هو أساس جميع الكمالات،ومنشأ كافة المقاصد السامية،ومنبع كل الحكم المودعة في خلق الكون،كذلك هو الغاية القصوى،والبلسم الشافي لحصول رغبات ومطالب كل ذي شعور–وخاصة الإنسان–

فمن لايؤمن بالتوحيد،لابد أن تنطفي شعلة رغباته ومطالبه كلها،ولابد أن تنمحي عنده جميع الحكم في خلقة الكون،وتتلاشى أمامه الكمالات الحقيقية قاطبة.

فمثلا:إن رغبة«حب البقاء»الشديدة التي لاتتزعزع في الإنسان لايحققها ولا يطمئنه إلا من هو مالك لمقاليد الكون بأسره،حيث يفتح باب الخلود أمامه على مصراعيه في الآخرة،بعد أن أنهى الدنيا الفانية،كمن يفتح منزلا ويغلق آخر بكل سهولة.

ومثل هذه الرغبة رغبات كثيرة،وكثيرة جدًا،ممتدة إلى غير نهاية معلومة ومتشعبة في ثنايا جميع الكائنات،وجميعها مرتبطة بحقيقة نور التوحيد وسر الوحدانية وفيضها،إذ من لايؤمن بالتوحيد،لاشك في بقاء جميع رغباته عميقة قاصرة مبتورة،فلا يمكن أن يشفي غليل رغباته أبدًا.

لذا فالإيمان بالتوحيد،وبقدرته المطلقة سبحانه وتعالى،هو وحده الكفيل بإحلال الطمأنينة والسكينة في تلك الرغبات المتأججة.

من أجل هذا السر العظيم،نرى القرآن الكريم يذكر التوحيد والوحدانية بكل حرارة وشوق ويكررها بكل شوق ولذة،وأن الأنبياء والأصفياء يجدون بغيتهم وذوقهم السامي،بل سعادتهم في أفضل ماقالوه:«لاإله إلا الله».

السراج المنير:

وهكذا فإن التوحيد الحقيقي بجميع مراتبه،وبأتم صورته الكاملة،قد أثبته وفهمه،وبلغه محمد«عليه الصلاة والسلام»،فلا بد إذن أن رسالته ثابتة وقطعية كقطعية ثبوت التوحيد.

ولما كان التوحيد هو أعظم حقيقة في الوجود،وأن الرسول الأعظم هو الذي تولى تبليغه وتعليمه بكافة حائقه،فلا شك أن جميع البراهين التي تثبت التوحيد تكون بدورها براهين وأدلة إثبات صدق ثبوته ودعوته ﷺ،ولاشك أنه ضروري ومبرر شديد وقوي لذلك التوحيد إذ هو الذي جمع ما لايعد من هذه الحقائق السامية،وعلم وكشف عن التوحيد بكل نصاعته وحقيقته،لذا فهو البرهان الساطع للتوحيد،كما أن التوحيد برهان له.

وسنذكر ثلاث نماذج كمثال لتلك الأدلة والأسباب التي تشهد بعظمة ورفعة وعلو منزلة هذا النبيء الكريم،وكيف أنه سراج منير وشمس الكائنات بأدائه الأمانة وتبليغه الرسالة.

الأول:إذا تأملنا في ثواب جميع الحسنات التي ينالها كافة أفراد الأمة وعلى مدى جميع االعصور،أنه مكتوب مثله في صحيفة أعماله ﷺ،إذ هو السبب في أصل كل ثواب إلى يوم القيامة،وفكرنا مع ذلك في المقام المعظم اللائق الذي يقتضيه مجموع الأدعية اللانهائية،والصلوات المقبولة المرفوعة من قبل الأمة كافة...

عندئذ ندرك جيدًا درجته العالية الرفيعة التي لايمكن أن يصلها أحد،وكيف أنه شمس الكائنات والسراج المنير للخلق أجمعين.

الثاني:إن بذرة الشجرة الوارفة للإسلام ومنشأها وحياتها ومنبعها هي حقيقة الرسالة المحمدية،إذ مع فطرته السامية وخلقته الكاملة نذكر دائما رقيّه الروحي النابع من إستشعاره الكامل الأتم لجميع معاني ومراتب عبادته،وأذكاره وكلماته الشريفة،والذي بمجموعه يمثل روح الإسلام وحقيقته.

واعلم كذلك أن منزلة محمد عليه الصلاة والسلام«المحبة» في العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى،وذلك بمضون قوله:«أفلا أكون عبدًا شكورًا»، ثم قس عليها علوّ منزلته ودرجته على كل المراتب والدرجات الأخرى.

ولقد فتح الله عليّ في يوم،في سجدة في الصلاة،بعض معاني وأنوار كلمة «سبحان ربي الأعلى»لما يقرب من تلقي الصحابة رضوان الله عليهم من هذه الكلمة المقدسة فتبين لي يقينًا أنها خير من عبادة عمر،فقلت في نفسي:إن كانت جميع هذه الأنوار والفيوضات في كلمة واحدة وفي صلاة واحدة،فكيف بمن يعيش طيلة حياته في تلك الأنوار والفيوضات؟ فأدركت المنزلة العظيمة والدرجة العالية للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

نعم،إن الكلمات التي تشعها الكلمات المقدسة وفيوضاتها في بدء الإسلام لها مزايا خاصة،ولذائذ راقية جدًّا،وذلك لجدتها ولطافتها وطراوتها،التي قد تتناقص بمرور الزمن وتتستر تحت ستار الغفلة.

والآن تأمل:مكانة الرسول الذي تناول الكلام المقدس واستوعب أنواره بالوحي،مع كافل جدته وطراوته ولطافته مع إستعداده الفطري الكامل..فالأنوار والفيوضات الكامنة في تسبيحة واحدة من تسبيحاته هي خير ماعلم من جميع الأنوار التي تملأ أرجاء عبادة سنة كاملة عند غيره...

قس هكذا حتى تعلم كم بلغ رسولنا الأعظم ﷺ من درجات الكال التي لاحد لها.

الثالث:لاشك ان افضل وأكرم مخلوق على الله سبحانه هو الإنسان،إذ هو المطلوب وهو المراد من الخلق،لأنه الوحيد الذي

يتمكن من إدراك الخطاب الرباني.وقد اختار الله سبحانه من هو أكمل وأشهر وأعظم بأعماله وآثاره الكاملة،فجعله مخاطبًا له باسم النوع الإنساني كافة،بل باسم المخلوقات كافة.

فلا ريب مطلقا في أن الله الذي هيأ رسوله الحبيب ﷺ بهذ المرتبة قد جعله الله مظهرًا لكمالاته التي لاتحد..

ومثل هذه النقط،نقط كثيرة تثبت لنا بقطعية تامة:أن الرسول كما أنه شمس الكائنات والسراج المنير،كذلك هو آية عظمى في كتاب الكون،ومرآة صافية لجليات أنوار الفرد الأحد الصمد جل وعلا.

فاللهم ياأحد،ياصمد،يافرد،أنزل من بركات خزينة رحمتك التي لاتنفد،صلاة وسلاما على تلك الذات النبوية الشريفة بعدد ذرات الكون مضروبا بعدد دقائق الزمان..

سبحانه لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

لمعة من ليلة الإسراء

...ونستوحي من «إمامة»رسولنا ﷺ للأنبياء في ليلة الإسراء وبالضبط في رحاب المسجد الأقصى فكرة قوة خالدة تدل بعمق أكثر على أصالة ملامح شخصية هذه الأمة وعلى عظمتها معًا وهي: أن نكون نحن كذلك أئمة الأمم وقادة الشعوب ورواد البشرية كنبينا ﷺ تماما بتمام.

وبعد،ثم كيف؟ بل وما أخزانا أن نكون-نحن أتباع ذلك النبي- ذيولا للشرق أو أذنابا للغرب وقد منحنا الله جل جلاله: الرشد والصلاح والقيادة.

إن الإسلام بصورته هذه المستوحاة من مشاهد ليلة الإسراء ليَفرض علينا أن نعيش أقوياء، أن نعيش أعزاء، أن نعيش باختصار:قادة أمناء والعالم كله جنودنا..يسيرون معنا تحت راية القرآن،ونحن أمة الخلود أمة رسالة الرسالات أمة خاتم النبوات أمة الدنيا والدين والآخرة كلها.

* *

ذكر..شكر ..وفكر

بسم الله الرحمن الرحيم رأس كل خير،وبدأ كل أمر ذي بال،فسنذكرها نحن كذلك مقدّما.

فيانفسي اعلمي:أن هذه الكلمة الطيبة كما أنها شعار الإسلام،فهي كذلك ذكر لألسنة أحوال جميع الموجودات،أي أنها أورادهم بلسان حالهم.

فإن كنتِ راغبة في فهم مدى القوة الهائلة العظمى التي هي فيها،وأن تعلمي كيف أنها بركة واسعة لانهاية لها،فاستمعي إلى هذا المثال:إنه ينبغي لكل بدويّ يتنقل ويسيح في الصحراء أن ينتمي إلى قبيلة،ويتقلد إسم رئيسها كي ينجو من شر الأشقياء،وينجز أشغاله ويتدارك حاجته..وإلا فسيبقى وحيدًا منفردًا أمام كثرة من الأعداء ولا حد لها من الحاجات والضرورات.

وهكذا...توافق أن قام إثنان بمثل هذه السياحة،فكان أحدهما متواضعًا والآخر مغرورًا؛فالمتواضع انتسب إلى أحد الرؤساء بينما رفض المغرور ذلك،فتجول بهذه الصحراء،فما كان المنتسب يحل بقبيلة إلا قوبل بالإحترام والتوقير،وإن صادفه شقي أو قاطع طريق كان إنتسابه مانعا من الإعتداء عليه فتجول بكل إطمئنان وآمان بفضل ذلك الإنتساب.

أما المغرور فقد لاقى من المصائب والويلات مالا يكاد يوصف،فكان طيلة السفرة في خوف مستمر دائم، ولم يتمكن من قضاء حوائجه إلا بالتسول.لذا فقد أذل نفسه وأغرقها في الرعب المستديم.

فيانفسي المغرورة:إعلمي أنك أنت كذلك السائح البدوي:

وتلك الصحراء هي هذه الدنيا الواسعة.

وأن(فقرك)و(عجزك)لاحد لها،كما أن أعداءك كثيرون جدًّا وحاجاتك لانهاية لها...

فمادام الأمر هكذا فما عليك إلا الإنتساب إلى المالك الحقيقي، والحاكم الأبدي لهذه الصحراء حتى تنجو من ذل التوسل أمام الكائنات،والهلع والخوف أمام الحادثات...

نعم...إن كلمة «بسم الله»كنز عظيم لايفنى أبدًا إذ أنها تربط عجز الإنسان وفقره اللانهائيين(برحمة)واسعة مطلقة أوسع من الكائنات وبقدرة مطلقة تمسك زمام الذرات إلى السيارات...

فبسم الله يصبح كل من عجزك وفقرك الكائن في جبلتك شفيعين مقبولين عند القدير الرحيم ذي الجلال.

نعم،إن مثل الذي يتحرك ويسكن ويصبح ويغدو بهذه الكلمة كالجندي المنتمي إلى الدولة،فلا يتقدم أو يتأخر إلا باسمها ينجز كافة أعمالها باسمها،فلا يهاب أحدًا ويكون مالكا لنفسه أمام الشدائد...

وقد ذكر في البداية أن جميع الموجودات تذكر بلسان حالها إسم الله فهل هذا صحيح؟

نعم،لو رأيت أن أحدا يسوق الناس إلى صعيد واحد،ويجبرهم على إنجاز أعمال مختلفة فإنك لاشك ستحكم:أن هذا الشخص لايمثل نفسه ولايسوق الآخرين بقوته وإنما هو جندي موظف في الدولة يستند إلى قوة الدولة والسلطان عند قيامه بتلك الأعمال...

وهكذا جميع الموجودات،تنجز وظائفها باسم الله..حتى إن البذيرات المتناهية في الصغر تحمل فوق رؤوسهن أشجارا باسقة ضخمة وأثقالا هائلة كالجبال.

وإن كل شجرة تذكر اسم الله وتملأ أياديها بأثمار من خزينة الرحمة الإلهية وتقدمها بكل تواضع لنا.

وكذا كل بستان يذكر إسم الله،فتنضج فيه أنواع من الأطعمة اللذيذة من مطبخ القدرة الإلهية.

وكذا الحيوانات ذات النفع والبركة كالإبل والماعز والبقر...كل منها يقول باسم الله، فيغدو ينبوعا دفاقًا للّبن السائغ،يقدم لنا«باسم الرزاق» الطف مغذ وأنظفه وكأنه إكسير الحياة..

وهكذا جذور كل نبات وشجر وعشب،تشق الصخور الصلدة وتثقبها بشعيراتها الحريرية الرقيقة ذاكرة إسم الله فتسخر أمامها-باسم الرحمن-كل أمر صعب وكل شيء صلد.

نعم،إن انتشار الأغصان في الهواء،وحملها للإثمار وتشعب الجذور وتوغلها في الصخور الصماء،بكل سهولة. ويسر وخزنها للغذاء النافع في ظلمات الأرض،وكذا تحمل تلك الأوراق الخضراء شدة الحرارة ولفحاتها،ومن ثم.بقاءها طرية رطبة...

كل ذلك وغيرها...صفعة قوية على أفواه الماديين عبدة الأسباب،وصرخة مدوية على وجوههم،من أن تلك الصلابة والحرارة الشديدة لاتعملان بنفسيهما وإنما تؤديان وظائفهما تحت إمرة آمر واحد أحد حكيم عليم حيث يجعل تلك العروق الحريرية الدقيقة كعصا موسى تشق الحجارة ،تتثل أمر:﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾(1)

وإن تلك الأوراق الطرية الندية كأنها أعضاء إبراهيم عليه السلام تقرأ لها آية:﴿يانار كوني بردًا وسلامًا...﴾(2)

ولما كان كل شيء في الوجود يقول:«بسم الله»بلسان حاله،ويكون وسيلة لجلب النعم وتقديمها للآخرين.

فما علينا إذن إلا أن نقول«بسم الله»أيضا،ونعطي«بسم الله»،ونأخذ«بسم الله»،ونرد أيادي الغافلين الذين لم يعطوا«بسم الله».

والسؤال الذي يرد:«إننا نؤدي ثمن من يكون سببا لنعمة علينا بالإحترام والتوقير،فياترى ماذا يُطلب منا-من الإيمان- صاحب تلك النعم كلها ومالكها الحقيقي...؟

والجواب:إن ذلك المنعم الحقيقي-تجاه تلك النعم الثمينة-يطلب منا أثمانها بثلاثة أمور:

الذكر..الشكر..الفكر..

فـ«بسم الله»بدء هي ذكر

و«الحمد لله»ختاما هي شكر.

وما يتوسطهما من تفكر وإدراك خوارق صنعة ذلك القدير الرحيم في تلك النعم التي هي من هدايا رحمته الواسعة هو:فكر.

ولكن أليس الذي يقبّل أقدام الجندي الخادم الذي يقدم هدية السلطان قد ارتكب حماقة فضيعة وبلاهة مشينة؟

فما بال من يثني على الأسباب الجالبة للنعم،ويخصها بالحب والود،دون المنعم الحقيقي...ألا يكون قد اقترف بلاهة أشد منها ألف مرّة؟

يانفسي...إن كنت ترفضين أن تكوني ذلك الأحمق الأبله،

فاعطي«باسم الله»،

وخذي«باسم الله»،

وابدئي«باسم الله»،

واعلمي«باسم الله»،

والسلام.

الهوامش:

(1) مجلة«الدعوة» الصادرة في السعودية بتاريخ الإثنين 3 جاذى الأولى 1401هـ-9 مارس 1981م.ع=788،ص 23.

(2) المائدة:35

(3) أنظر الموسوعة التي أعدتها مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية بإشراف.فتحي يكن=269/1.

(4)رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

(5)المائدة 51

(6) من مقال الدكتور محسن عبد الحميد:«النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيا»المنشور في مجلة الأمة«القطرية».العدد 19.السنة=2(1402هـ-1982م).

(7) من مقال الأستاذ فتحي يكن:«بين الأمس واليوم»في مجلة «الشهاب»اللبنانية.العدد=5،السنة1(1967م).

(8) الأستاذ برنارد لويس:«الغرب والشرق الأوسط»تعريب:الدكتور نبيل صبحي.ص177.

والأستاذ برنارد لويس هو رئيس قسم التاريخ في كلية الدراسات الإفريقية والشرقية بجامعة لندن.

(9) من مقدمة لرسالة عن حياة سعيد النورسي للأستاذ الشيخ عبد الله الخالدي.

(10) الدكتور:محمد سعيد رمضان البوطي:«حياة سعيد النورسي»

(11) ويقصد بها قرية«بارلا»التي نفي فيها.

(12) الحج:73.

(13) البقرة:60.

(14) الأنبياء 69.

الفهرس

استدراك:

ص	س	الخطأ	الصواب
3		الإهداء (سقطت من الصفحة)	
31	05	الشابان	الشبان
49		المرحلة الثانية– «سعيد الجديد» أو التربية والتكوين(عنوان سقط من الصفحة)	
51	19	لعقوبات	العقوبات
59	10	اتفترصون	أتفترضون
72		السطور الثلاثة الأولى ترتب في نهاية الصفحة	
90		تلغى السطور الثلاثة الأخيرة من الصفحة	